مقدّمة التحقيق

وَتَشْتَمِلُ عَلَىٰ:

أ - تَرجَمَةِ الحَافِظ جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطيّ

ب - التَّعْرِيفِ بِكِتَابِ «الإتقان في عُلوم القُرآن»

ج - مَنْهَج التَّحْقِيق

د - وَصْفِ النُّسَخ المَخْطوطَة

أ- ترجمة الحافظ جلال الدين السيوطي

تمهيد:

يعدُّ السيوطي -رحمه الله- من أعلام المسلمين الذين يتميزون بسَعَة اطلاعهم، ومشاركتهم في صنوف العلوم، وكثرة التآليف.

وقد أنشأ لنفسه ترجمة على منوال من كتب سيرته الذاتية من العلماء والأدباء في ثلاثة من كتبه، وهي:

١- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة(١).

٢- طبقات النحاة الوسطى(٢).

٣- التحدُّث بنعمة الله. وهي رسالة مفردة عن سيرته(٣)، ترجم فيها لوالده، وضمَّنها عدداً من الفوائد العلمية، والمطارحات الخلافية، وسرد فيها أسماء مؤلفاته، واختياراته في الفقه، والحديث، والأصول، والنحو.

وكذلك نهض لترجمته اثنان من تلاميذه في مصنَّف مفرد، وهما:

١- محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت: ٩٤٥هـ)، ألَّفها على نمط

---

(١) ١/ ٣٣٥-٣٤٤ «ضمن من كان بمصر من الأئمة المجتهدين».

(٢) انظر: النظائر لبكر أبو زيد: ٤٦.

(٣) نشرتها الدكتورة إليزابيث ماري سارتين في القاهرة سنة (١٣٩٢هـ)، وقدَّمت لها بدراسة باللغة الإنجليزية، استغرقت الجزء الأول من مطبوعتها.

ترجمة السخاوي لشيخه ابن حجر[١]، ورتبها على عشرة أبواب[٢].

٢- عبدالقادر بن محمد بن أحمد الشاذلي (ت نحو ٩٣٥هـ)، وهو ناسخ كتبه وناشرها في الأمصار، ترجم شيخه في: «بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين»[٣].

وكُتب عنه العديد من الدراسات العامة، أو تلك التي تناولت جانباً من جوانب شخصيته الموسوعية، فضلاً عما كُتب من دراسات عن مؤلفاته، وما سطَّره أصحاب التراجم، وما صُدِّرت به كتبه المنشورة من تعريف به، وما نُشِر عنه من مقالات في الدوريات.

بل عقدت عنه ثلاث ندوات:

١- ندوة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية بالقاهرة[٤].

٢- ندوة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسسكو»[٥].

٣- ندوة جامعة مؤتة في مدينة الكرك بالأردن[٦].

---

(١) كما يذكر الشاذلي في بهجة العابدين: ٢٧٥.

(٢) وهي مخطوطة، نشر منها الدكتور محمد خير البقاعي الباب الرابع، وهو في أسماء مؤلفات السيوطي، في مجلة الدرعية، العددان (١١، ١٢) السنة الثالثة.

(٣) نشره الدكتور عبدالإله نبهان، وصدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة (١٤١٩هـ).

(٤) بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وعقدت سنة (١٣٩٦هـ)، وطبعت بحوثها.

(٥) بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة، وعقدت في شوَّال عام (١٤١٣هـ)، وطبعت بحوث منها مختارة.

(٦) وهي ندوة دولية عن السيوطي بمناسبة مرور خمسمئة عام على وفاته، وعالجت أبحاثها ستة محاور عن السيوطي، وعقدت عام (١٤١٤هـ).

عصر السيوطي

عاش السيوطي في مصر، في «عصر المماليك»، تحت مسمَّى «الخلافة العباسية» التي انتقلت -بعد سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ) على أيدي المغول- إلى مصر[١].

وغدت القاهرة الموطن الجديد للخلافة العباسية، إلا أن شؤون الحكم وتسيير الأمور كان منوطاً بسلاطين المماليك، وأصبح الخليفة العباسي مجرد رسم في الدولة لم يتجاوز الاسم، يُدعى له على المنابر قبل السلطان[٢].

وقد عَبَّر المَقْريزي عن ذلك الوضع بوصف الخليفة العباسي في القاهرة فقال: «ليس له فيها أمر ولا نهي، إنما حظه أن يقال له أمير المؤمنين»[٣].

وقد عاصر السيوطي ثلاثة عشر سلطاناً من المماليك الجَرْكَسية[٤]، الذين امتد نفوذهم من سنة (٧٨٤) إلى سنة (٩٢٣هـ) عندما انتهى حكمهم بدخول العثمانيين مصر[٥].

---

(١) البداية والنهاية ١٧/ ٣٥٦، والمواعظ والاعتبار ٢/ ٢٤٢.

(٢) انظر: العصر المماليكي في مصر والشام للدكتور سعيد عاشور: ٣٤٦.

(٣) المواعظ والاعتبار: ٢/ ٢٤٢.

(٤) أو الشَّرْكَسية، وسُمُّوا بذلك لأن السلطان قلاون اعتنى بشراء هؤلاء المماليك الذين جُلبوا من القوقاز بجوار بحر قَزْوين. وعرفوا -أيضاً- باسم: «المماليك البُرْجيَّة»؛ لأن السلطان قلاون أسكنهم بجواره في أبراج القلعة بالقاهرة. انظر: العصر المماليكي: ١٣٥، ١٣٦.

(٥) تاريخ الخلفاء: ٥١٣-٥١٦، وعصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي للدكتور محمود رزق سليم ١/ ٤٩-٦٢.

واتسم هذا العصر بالتقلبات السياسية وعدم الاستقرار، وبدا تأثر السيوطي –رحمه الله– واضحاً في هذا الأمر، فوصف زمانه، وما اعتراه من خلل في مقامته اللؤلؤية[١]، وقال في نهاية «الإتقان»: «وايم الله، إن هذا لهو الزمان الذي يلزم فيه السكوت والمصير حِلْساً[٢] من أحلاس البيوت»[٣].

أما على المستوى الاجتماعي فقد اتصفت الحياة في مصر بالطبقية، والفوضى، وانتشار الفقر، والأمراض[٤].

وكان استبدال العملة في دولة المماليك الجراكسة من أهم الأسباب التي أنشأت أزمة في المجتمع؛ إذ عمدت الدولة إلى جمع ما بأيدي الناس من الدراهم الفضية، والدنانير الذهبية، وأحلَّت مكانها نقوداً نحاسية.

قال المَقْريزي: «فَدَهَى الناسَ بذلك داهيةٌ أذهبت المال، وأوجبت قلة الأقوات، وتعذّر وجود المطلوبات لاختلاف النقود»[٥].

أما على الصعيد الثقافي والعلمي فكان الأمر يختلف عما عليه الوضع السياسي والاجتماعي، إذ أصبحت مصر بلداً يأوي إليه العلماء مِنْ جَرَّاء حملات التتار، وسقوط كثير من المدن الأندلسية بيد النصارى الأسبان.

ووصفها السيوطي بقوله: «وصارت محلَّ سكن العلماء، ومحطَّ رحال الفضلاء»[٦].

---

(١) انظر: شرح مقامات جلال الدين السيوطي: ٢/ ٩٩٨–٩٩٩.

(٢) الحِلْس: ما يكون على ظهر الدابة من السَّرْج ونحوه، وفلان حِلْس بيته: لا يفارقه.

(٣) الإتقان: ٤/ ٢٥٩. (ط: أبو الفضل، وكذا الإحالات التالية).

(٤) العصر المماليكي: ٣٠٨، ٣٢٥، ٣٢٦.

(٥) إغاثة الأمة بكشف الغمة: ٧٢.

(٦) حسن المحاضرة: ٢/ ٩٤.

وكان لسلاطين المماليك أثر مهم في إذكاء الحياة العلمية بمصر، فبنوا المساجد، والمدارس، والأربطة، وأنشؤوا المكتبات العامة، وعيَّنوا مَنْ يشرف على ذلك من العلماء والموظفين(١).

وكان من أبرز تلك المكتبات: المكتبة المحمودية التي أنشأها الأستادار(٢) جمال الدين محمود بن علي المملوكي (ت: ٧٩٩هـ)، وأوقف عليها كتب ابن جماعة، التي اشتراها بعد موته، قال الحافظ ابن حجر -الذي كان خازناً لها(٣)-: «وهي كثيرة جداً»(٤).

وقد ألَّف السيوطي رسالة في هذه المكتبة سَمَّاها: «بَذْل المجهود في خزانة محمود»(٥) ذهب فيها إلى أنه يجوز مخالفة شرط الواقف، وهو: منع إخراج الكتب منها، إلى جواز ذلك.

ومما يلفت نظر المتتبع للحركة العلمية في هذا العصر ولادة موسوعات مهمة في تاريخ العلوم، من ذلك:

---

(١) انظر: العصر المماليكي: ٣٢٩-٣٣٥.

(٢) وهي وظيفة يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ، والحاشية، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاج إليه كل بيت من بيوت السلطان من النفقات والكسوة. انظر: المصدر السابق: ٣٨٩.

(٣) وعمل لها فهرسين: أحدهما على الأبواب، والثاني على الحروف. انظر: الضوء اللامع ٢/ ٣٩، وابن حجر العسقلاني للدكتور شاكر عبدالمنعم: ١/ ١٥٥.

(٤) الدرر الكامنة: ٥/ ٩٧، وقدَّرها البقاعي سنة (٨٤٦هـ) بـ(١٠,٠٠٠) مجلد. انظر: ابن حجر العسقلاني: ١/ ١٥٥ «حاشية».

(٥) نشرها الأستاذ فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الرابع: الجزء الأول.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس أحمد بن علي القَلْقَشَنْدي (ت: ٨٢١هـ).

- المواعظ والاعتبار، المعروف بخطط المَقْريزي (ت: ٨٤٥هـ).

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البِقاعي (ت: ٨٨٥هـ).

وقد ظهر أثر هذه النزعة الموسوعية في مؤلفات السيوطي، نحو:

١- ترجمان القرآن، وهو تفسيره المسند، الذي اختصر منه «الدر المنثور».

٢- الجامع الكبير، الذي جمع فيه ما انتهى إليه علمه من أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله.

التعريف بالحافظ السيوطي

● **اسمه ونسبه:**

هو: عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين، وأنهى رفع نسبه إلى جده الأعلى: «همام الدين».

قال: «وحدثني من أثق به أنه سمع أبي -رحمه الله- يذكر أن جدَّه الأعلى كان أعجمياً، أو من المشرق»(١).

وقد ذكر ست لطائف في تسميته بـ«عبدالرحمن» أوردها في سيرته(٢).

وكنيته: أبو الفضل، كناه بها صديق والده القاضي عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني الحنبلي(٣) (ت: ٨٧٦هـ).

ولقبه: جلال الدين، لقَّبه به والده(٤).

ويُلَقَّب -أيضاً- بابن الكتب، قال الزركلي: «وقرأت في كتاب «المنح البادية - خ»(٥) أنه كان يلقب بابن الكتب؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب»(٦).

(١) التحدّث بنعمة الله: ٦، ونحوه في حسن المحاضرة ١/ ٣٣٦-٣٣٧.

(٢) انظر: التحدث بنعمة الله: ٣٢-٣٥.

(٣) بهجة العابدين: ٦٣، شذرات الذهب ٨/ ٥١.

(٤) بهجة العابدين: ٦٢، شذرات الذهب ٨/ ٥١.

(٥) وهو ثَبَت لمحمد بن عبدالرحمن الفاسي (ت: ١١٢٤هـ). انظر: فهرس الفهارس للكتاني: ٢/ ٥٩٥، والفهرس الشامل «الحديث النبوي»: ١٦٠٤.

(٦) الأعلام: ٣/ ٣٠١.

أما نسبته: فهي «الخُضَيْري»، نسبة إلى محَلَّة ببغداد تُعْرف بالخُضَيْرِيَّة، قال: «فلا يبعد أن تكون النسبة إلى المحلة المذكورة»(١).

وينسب -أيضاً- إلى بلده التي رحل إليها جده الأدنى «محمد بن سابق الدين»، وهي «أسيوط».

قال: «كان الوالد يكتب في نسبته «السيوطي»، وغيره يكتب «الأسيوطي» وينكر كتابة الوالد، ولاإنكار، بل كلا الأمرين صحيح، والذي تحرر لي بعد مراجعة كتب اللغة، ومعاجم البلدان، ومجاميع الحفاظ والأدباء وغيرهم، أن في «سيوط» خمس لغات: أسيوط بضم الهمزة وفتحها، وسيوط بتثليث السين»(٢).

وقد نسب إلى «أسيوط» جماعة من أهل العلم قبل «جلال الدين السيوطي»(٣)، وبعده، إلا أنه تَفَرَّد بهذه النسبة أو كاد، بحيث صارت إذا أُطْلِقَتْ لا تنصرف إلا إليه.

وأفرد السيوطي في تاريخها مجلداً لطيفاً(٤)؛ اقتداء بمن أفرد لبلده تاريخاً من المحدِّثين(٥).

والطريف أنه لم ير أسيوط، ولم يسافر إليها مطلقاً(٦).

(١) التحدث بنعمة الله: ٥-٦. وانظر: حسن المحاضرة: ١/ ٣٣٦.

(٢) التحدث بنعمة الله: ١٢.

(٣) سرد طائفة منهم في كتابه: التحدث بنعمة الله: ١٥-١٦.

(٤) يسمَّى: «المضبوط في أخبار أسيوط»، منه نسخة خطية في برلين. انظر: بهجة العابدين: ٢٥٤، دليل مخطوطات السيوطي: ٢٥٠.

(٥) انظر: التحدث بنعمة الله: ١٦.

(٦) المصدر السابق: ١٦.

● ولادته ونشأته:

ولد في القاهرة بعد المغرب، مستهلَّ شهر رجب من عام (٨٤٩هـ)[١].

وقد نشأ يتيماً؛ إذ مرض والده «أبو المناقب كمال الدين أبو بكر بن محمد»[٢] وتوفي في مرضه، والجلال الدين من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وقد وصل في حفظ القرآن إذ ذاك إلى سورة التحريم[٣].

وقد طوت المصادر -التي اطلعنا عليها- أثر أمه في هذه المرحلة، إلا أنا عرفنا أن أصولها جَرْكَسية[٤]، وتوفيت بعده، ودفنت بقبر مجاور لقبر ولدها[٥].

وتولى رعايته وتأديبه جماعة منهم: الفقيه الحنفي كمال الدين بن الهمام (ت: ٨٦١هـ)؛ فإنه كان من كبار أصدقاء والده[٦].

ومؤدبه «عقيل»، وهو أحد طلاب والده، وقال عنه: «وكان له فضل في العلم»[٧].

---

(١) التحدث بنعمة الله: ٣٢، حسن المحاضرة: ١/٣٣٦.

(٢) ترجمه ترجمةً مفصَّلة في التحدّث بنعمة الله: ٥-٢٠، وترجمه أيضاً في: حسن المحاضرة: ١/٤٤١-٤٤٣ «ضمن من كان بمصر من فقهاء الشافعية»، وفي بغية الوعاة: ١/٤٧٢، وفي نظم العقيان: ٩٥.

(٣) بهجة العابدين: ٦٤، شذرات الذهب: ٨/٥٢.

(٤) ذكره السيوطي أثناء رده على ابن الكَرَكي في مقامته المسماة: «طَرْز العِمامة في التفرقة بين المَقامة والقُمامة»: شرح مقامات جلال الدين السيوطي: ٢/٧٣٦».

(٥) انظر: بهجة العابدين: ٢٦١.

(٦) المصدر السابق: ٦٤.

(٧) التحدث بنعمة الله: ١١.

● **حياته العلمية:**

اتجه السيوطي بعد وفاة والده إلى إتمام حفظ كتاب الله تعالى، فأتمَّه وسنه أقل من ثمان سنوات[١].

ويذكر الغزي أن والد السيوطي قبل موته أحضره -وهو صغير- مجلس رجل كبير من العلماء، أخبره بعض أصحاب أبيه أنه مجلس الحافظ ابن حجر[٢].

قال السيوطي: «لا شك في أن لي منه إجازة؛ فإن والدي كان يحضر مجالسه كثيراً، وقد أخبرني من أثق به أنه كان يجيز لمن حضر مجلسه وأولادَهم»[٣].

ثم حفظ عدداً من كتب العلم في الفقه، والأصول، والحديث، واللغة، وغيرها[٤].

وقرأ على مشاهير من علماء عصره، بلغ عددهم مئة وخمسين عالماً[٥].

---

(١) حسن المحاضرة ١ /٣٣٦.

(٢) الكواكب السائرة ١ /٢٢٦.

(٣) التحدث بنعمة الله: ٤٥، وقال كذلك عن المقرئ المحدث أبي النعيم رضوان بن محمد العُقْبي (ت: ٨٥٢هـ): «لا أشك في أن لي منه إجازة؛ فإنه كان مُسْمِع الحديث بالشيخونية، وكان والدي يحضر مجلس الختم عنده، وكنت كثيراً ما أحضر مع والدي الشيخونية» المصدر السابق: ٥٠.

(٤) حسن المحاضرة: ١ /٣٣٦-٣٣٨، بهجة العابدين: ٦٥-٦٩.

(٥) حسن المحاضرة: ١ /٣٣٩.

أما من أجازه أو سمع منه من العلماء فيبلغون نحو ستمئة عالم وأديب، جمع أخبارهم وتراجمهم في معجم كبير[١].

ومن أشهر شيوخه:

علم الدين صالح بن عمر البُلْقِيني الشافعي (ت: ٨٦٨هـ)، الذي أفرده السيوطي بترجمة مستقلة[٢]، ونعته في مقدمة «الإتقان» بقوله: «شيخ مشايخ الإسلام، قاضي القضاة وخلاصة الأنام، حامل لواء المذهب المُطَّلبي»[٣].

ومحيي الدين محمد بن سليمان الكافِيَجي (ت: ٨٧٩هـ) الذي لازمه أربع عشرة سنة، وأخذ عنه عدة فنون، وأثنى عليه في مقدمة «الإتقان» ثناء عاطراً[٤].

وهو الوحيد من شيوخه الذي نقل عنه مشافهة في «الإتقان» في ثلاثة مواضع[٥].

وقال عنه: «وما كنت أعدُّ الشيخ إلا والداً بعد والدي؛ لكثرة ما له عليَّ من الشفقة والإفادة، وكان يذكر أن بينه وبين والدي صداقة تامة، وأن والدي كان منصفاً له، بخلاف أهل مصر»[٦].

(١) التحدث بنعمة الله: ٤٣، حسن المحاضرة: ١/ ٣٤٤، واسم معجمه «حاطب ليل وجارف سيل».

(٢) انظر: فهرست مؤلفات السيوطي (خ): ٧٨.

(٣) الإتقان: ١/ ٤.

(٤) المصدر السابق: ١/ ٤.

(٥) الإتقان: ٢/ ١٥٣، ٢٥٢، ٣/ ٢٤٥.

(٦) بغية الوعاة: ١/ ١١٨.

ولم يكتف السيوطي بالشيوخ من الرجال، بل كان له شيخات من النساء، فقد ترجم لاثنتين وأربعين شيخة منهن في «معجم شيوخه» الذي ذكر فيه أعيان شيوخه الذين سمع منهم الحديث، وأجازوا له، وجعلهم ثلاث طبقات[١].

وقد لجأ السيوطي إلى توثيق مروياته عن شيوخه، فوضع لذلك فهارس يذكر فيها الكتب التي قرأها، وعَمَّنْ تلقَّاها من الشيوخ بأسانيدهم إلى مؤلفيها. فألَّف في هذا كتابين:

١- زاد المسير في الفهرست الصغير[٢].

٢- أنشاب الكتب في أنساب الكتب[٣].

وقد رحل السيوطي للحج عام (٨٦٩هـ)، وشرب من ماء زمزم لأمور، منها: أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البُلْقِيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر[٤].

---

(١) انظر تفصيل تراجمهنَّ في: «المنجم في المعجم»: ٩٤، ٩٨ -١٠٥، ١١٢، ١١٤، ١١٧-١١٨، ١١٩-١٢١، ١٢٢، ١٣٣-١٣٤، ١٦٣، ١٦٤-١٦٥، ١٦٨-١٦٩، ٢٢٤ -٢٢٥، ٢٢٧، ٢٤٠.

(٢) ذكره في فهرست مؤلفاته (خ) ٣٧ / ب، وهو مخطوط. انظر: دليل مخطوطات السيوطي: ٢٥٧.

(٣) ذكره -أيضاً- في فهرست مؤلفاته (خ) ٣٧ /ب، وهو مخطوط. انظر: مكتبة الجلال السيوطي: ٩٣، ٢٧١، دليل مخطوطات السيوطي: ٢٦٢.

(٤) حسن المحاضرة: ١ /٣٣٨.

قال الكَتَّاني: «وكذلك كان فعل ابن حجر؛ فإنه شرب ماء زمزم على أن يكون كالحافظ الذهبي، فبلَّغهما الله أملهما»[١].

وفي السنة التالية زار بعض المدن المصرية كدمياط، والفيُّوم، والمحلة، والإسكندرية[٢]، وقد جمع فوائد هذه الرحلة بمؤلف سماه: «الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط»[٣].

وقد حدَّث في هذه الرحلة بعُشارياته[٤] في الحديث، وبأشياء من نظمه، وكتب عنه أهل العلم الذين حضروا مجالسه، كثيراً من دروسه، ونقلوا كثيراً من تصانيفه، وطَلَب منه الإجازة مَنْ هم من أقرانه[٥].

ويظهر أن السيوطي لم يبرح القاهرة، إلا للحج، وللمدن المصرية المشار إليها آنفاً.

وظن عددٌ من المعاصرين أنه سافر إلى: «الهند، واليمن، والمغرب، والتَّكرور»، واتكؤوا على ماورد في ترجمته: «وبلغت مؤلفاتي -إلى الآن- ثلاثمئة كتاب، سوى ما غسلته ورجعت عنه، وسافَرتْ بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، والتَّكرور»[٦]،

---

(١) فهرس الفهارس والأثبات: ٢/١٠١٢.

(٢) انظر: التحدث بنعمة الله: ٨٣، الضوء اللامع: ٤/٦٦.

(٣) التحدث بنعمة الله: ٨٣، وانظر: دليل مخطوطات السيوطي: ٢٤٩.

(٤) وهي الأحاديث التي يسندها إلى النبي ﷺ، وبينه وبين النبي عشرة رجال. انظر: الرسالة المستطرفة: ١٠١-١٠٢.

(٥) التحدث بنعمة الله: ٨٣.

(٦) حسن المحاضرة: ١/٣٣٨.

فتوهموا أن التاء من قوله: «وسافرَتْ» تاء الفاعل، ونسبوا له الرحلة إلى تلك البلدان المتباعدة.

والحقيقة أن التاء المذكورة في قوله هي تاء التأنيث العائدة إلى مؤلفاته التي شرَّقت وغرَّبت، ويؤكد هذا أن سيرته المفصَّلة وهي كتاب «التحدث بنعمة الله» ألفها بعد كتابه «حسن المحاضرة»، ولم يورد فيها زيارته إلى تلك البلدان، وإنما عقد فصلاً ذكر فيه سير مصنفاته في الآفاق(١).

وكذلك فإن المؤرخين المعاصرين له كالسخاوي، وابن إياس، والشعراني، ومن جاء بعدهم كالغَزِّي، وابن العماد، والشوكاني، لم يذكروا شيئاً من ذلك(٢).

وكذلك فإن هذا الأمر يخالف منهج السيوطي وعادته في تأليفه كتباً عن أسفاره ورحلاته.

وقد أفتى السيوطي مطلع سنة (٨٧١هـ)، وعقد إملاء الحديث مستهلَّ السنة التالية(٣).

ورُزق التبحر في سبعة علوم، هي: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، ودونها علوم أخرى ذكرها(٤).

---

(١) التحدث بنعمة الله: ١٥٥-١٥٩.

(٢) انظر: الكواكب السائرة ١/٢٢٨، وحياة جلال الدين السيوطي مع العلم لسعدي أبو جيب: ٢٩-٣٠.

(٣) حسن المحاضرة: ١/٣٣٨، التحدث بنعمة الله: ٨٨، ٨٩.

(٤) حسن المحاضرة: ١/٣٣٨-٣٣٩.

وتقلَّد خمس وظائف رسمية، وهي:

تدريس الفقه بالجامع الشيخوني، وهي وظيفة كانت لأبيه من قبل[١]، ثم مشيخة التصوف بتربة بَرْقوق نائب الشام بالقَرافة[٢]، ثم تدريس الحديث بالخانْقَاه[٣] الشيخونية[٤]، ثم مشيخة الخانقاه البَيْبَرْسيَّة[٥].

ثم كتب له الخليفة العباسي المتوكل تفويضاً بالنظر في أمور القضاة، والحكم والقضاء بمصر وسائر الممالك الإسلامية سنة (٩٠٢هـ)[٦].

ولما بلغ عمر السيوطي أربعين سنة تجرَّد للعبادة، وامتنع عن الإفتاء والتدريس، وشرع في تحرير مؤلفاته، واعتذر عن ذلك في مؤلف سَمَّاه: «التنفيس بالاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس»، وقال فيه: «وكم من عالم قبلي قد قبل هذه الوصية، إذ رأى ما ليس له به قِبَلٌ، وترك الإقراء والإفتاء،

---

(١) بهجة العابدين: ٦٩، الضوء اللامع: ٤ / ٦٦.

(٢) تولاَّها سنة (٨٧٥هـ). انظر: بهجة العابدين: ١٥٩، الضوء اللامع: ٤ / ٦٧.

(٣) وهي كلمة فارسية بمعنى البيت، تجمع على خوانق، وهي بيت ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر، ودخلت إلى العربية في نحو المئة الرابعة الهجرية. انظر: العصر المماليكي: ٤١١، وحياة جلال الدين السيوطي: ٣١٠.

(٤) تولاَّها سنة (٨٧٧هـ). انظر: التحدث بنعمة الله: ٩٠، بهجة العابدين: ٨٨.

(٥) تولاَّها سنة (٨٩١هـ). انظر: بهجة العابدين: ١٦٠، الضوء اللامع: ٤ / ٦٩.

(٦) انظر نص هذا التفويض في بهجة العابدين: ١٧٣.

وأقبل على خاصة نفسه والعمل»[١]، ويشير تلميذه الشاذلي إلى تركه لوظائفه بقوله: «وترك الجميع، وزهد فيها، ولم يلتفت إليها، وكان إذا احتاج إلى شيء من النفقة باع تركته، وأكل من ثمنها، وبعث له كتباً كثيرة على يدي، ولم يسأل مخلوقاً في شيء من أمر الدنيا، ولم يُعْلِم بحاله أحداً»[٢].

ومما ينبغي ذكره أن السيوطي كان ذا طبيعة تأثرت بالتصوف، وعَلَّل إقباله على هذا المسلك بقوله: «وكأن السبب في إقبالي آخراً على طريقة التصوف، وملازمة القوم نزوع العرق منْ جَدِّي المذكور»[٣].

● **عقيدته:**

منهج السيوطي في العقيدة في كتابه «الإتقان» لم يخرج عن منهج متأخري الأشاعرة الذين يتأولون الصفات الخبرية والصفات الفعلية الاختيارية، وقد أوَّل السيوطي أكثر من عشرين صفة[٤]. ومذهب السلف إثبات الصفات على الحقيقة لا على المجاز، وقد عَلَّقنا على المواضع التي خالف السيوطي فيها مذهب السلف، وبيَّنَّا الصواب فيها بأدلة من الكتاب والسنة على ضوء فهم السلف الصالح، وعَمِلْنا تعليقاً مطولاً على أول

(١) المقامة اللؤلؤية ضمن شرح مقامات جلال الدين ٢ / ١٠٠٠–١٠٠١، وانظر: بهجة العابدين: ١٥٨. ولا يعدو عمله أن يكون مسلكاً شخصياً لا يقاس عليه.

(٢) بهجة العابدين: ١٦٥.

(٣) التحدث بنعمة الله: ٦ –٧.

(٤) انظر أمثلة من ذلك في «الإتقان»: ٣ /٧، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ١٤٦، ٢٨١، ٢٨٢.

تأويل خالف فيه أهل السنة، وإذا تكرر كلامه في القضية الواحدة أحلنا على موطن وروده الأول.

وألحقنا فهرساً بالمسائل العقدية التي اشتملت على بيان الصواب فيما خالف فيه السيوطي مذهب السلف.

● **مذهبه الفقهي:**

نشأ السيوطي شافعيَّ المذهب، وحفظ في أصوله وفروعه عدة كتب، ثم ترقَّى بعد تصدُّره للفتوى –أي: بعد سنة (٨٧١هـ)– إلى رتبة الترجيح في المذهب الشافعي، قال: «ولما بلغت درجة الترجيح، لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي، وإن كان الراجح عندي خلافه»[١].

ثم ادَّعى الاجتهاد، وصرَّح برأيه سنة (٨٩٨هـ) في عدد من كتبه[٢]، وألف كتاب: «الردّ على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض»، ردَّ فيه على مَنْ منع الاجتهاد.

وقد ألَّبت عليه هذه الدعوى عديداً من الخصومات، حتى قال السخاوي: «وقد قام عليه الناس كافة لما ادَّعى الاجتهاد»[٣].

---

(١) التحدث بنعمة الله: ٩٠.

(٢) انظر: التحدث بنعمة الله: ١٩٣، ورسالة: «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» ضمن الحاوي: ٢/ ٨٦.

(٣) الضوء اللامع: ٤/ ٦٩.

ويظهر من كلام السيوطي أن دعواه الاجتهاد تدل على اعتداد بالنفس، وتجاوز لحدودها، فهو يقول: «ومن أجدر بالنحو مني؟ وإنما تؤخذ دقائق العربية وعلوم اللغات عني، وأنا مجتهدها ومجتهد كل فن»(١).

والصواب أن السيوطي -رحمه الله- يذهب إلى كونه مجتهداً مطلقاً منتسباً، لا مجتهداً مستقلاً، بحيث يرى أنه توافرت فيه شروط الاجتهاد التي يتصف بها المجتهد المستقل، لكنه لم يبتكر لنفسه قواعد تخرجه عن قواعد المذهب المقررة، بل سلك طريق مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى. فهو يقول: «ولما بلغت رتبة الاجتهاد المطلق لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي -رضي الله عنه- كما كان القفال...، مع أني لم أختر شيئاً خارجاً عن المذهب إلا يسيراً جداً»(٢).

وقد وصلت اختياراته الفقهية المذكورة في كتابه «التحدث بنعمة الله» إلى (٣٥) اختياراً(٣)، وهي في جملتها لا تخرج عمَّا قاله، من عدم خروجه عن المذهب الشافعي إلا في مسائل معدودة.

ومن القضايا المهمة في حياة السيوطي العلمية تصريحه بأنه مجدد المئة التاسعة الهجرية في منظومته التي جمع فيها أسماء المجدِّدين عبر القرون، فقال:

---

(١) مقامة طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة: ٢ / ٧٨٢.

(٢) التحدث بنعمة الله: ٩٠ ونحوه في الرد على من أخلد إلى الأرض: ٤٢.

(٣) ص ٢٢٨-٢٣٣.

وهذه تاسعة المئين قدْ أتَتْ، ولا يُخْلَفُ ما الهادي وعَدْ
وقد رجوتُ أنني المجدِّدُ فيها بفضل الله ليس يجحدُ[١]

وقد جَرَّته هذه التصريحات إلى خصومات عنيدة مع أهل عصره، صَوَّر لنا شيئاً منها في سيرته الذاتية[٢].

● **تلاميذه:**

للسيوطي تلاميذ كثر، منهم: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت: ٩٣٠هـ)، صاحب تاريخ مصر المعروف بـ «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، ومحمد بن علي الداودي (ت: ٩٤٥هـ) صاحب «طبقات المفسرين»، ويوسف بن عبدالله الأَرْميوني (ت: ٩٥٨هـ) صاحب «المعتمد في تفسير قل هو الله أحد»، وغيرهم. وقد عقد الأستاذ الطباع في كتابه عن حياة السيوطي فصلاً سماه: «معجم تلامذة السيوطي» أبلغهم فيه إلى (٤٨) تلميذاً[٣].

● **مؤلفاته:**

أورثت مؤلفات السيوطي صاحبها شهرة في حياته وبعد مماته، ورزق الله مصنفاته الانتشار في أصقاع الأرض، فقد كان أغزر أهل عصره تأليفاً واختصاراً، وألَّف في كثير من العلوم.

---

(١) بهجة العابدين: ١٥٢، فيض القدير ٢ / ٢٨٢.

(٢) انظر: التحدث بنعمة الله: ١٦١-١٦٢، ١٦٣، ١٩٣، ١٩٧.

(٣) الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي: ٤١٠-٤٢٤.

وترجع أسباب هذه الوفرة في العطاء إلى عدة أمور، منها:

ابتداؤه التأليفَ في سن مبكرة، وانعزاله عن الحياة العامة، وتفرغه لتحرير مؤلفاته، وشخصيته الموسوعية، وقدرته على جمع المعلومات وتلخيصها، وكثرة المصادر التي بين يديه، وسرعته في الكتابة، وأسلوبه في التأليف، والخصومات العلمية بينه وبين معارضيه[١].

وقد ابتدأ التأليف سنة (٨٦٦هـ)، أي: وعمره سبعة عشر عاماً، وكان باكورة مؤلفاته: «شرح الاستعاذة والبسملة»[٢].

وصنَّف السيوطي كتبه من حيث القيمة العلمية إلى سبعة أقسام، وهي:

١- ما ادَّعى فيه التفرُّد، ومنه «الإتقان»، وعدد هذا القسم (١٨) مؤلفاً.

٢- ما أُلِّف ما يناظره، ومنه «تكملة تفسير الجلال المحلي»، وعدد هذا القسم (٥٠) مؤلفاً.

٣- ما تم من الكتب الوجيزة، ومنه «التحبير في علم التفسير»، وجملة هذا القسم (٧٠) مؤلفاً.

٤- ما وقع في كرَّاس ونحوه، ومنه «مراصد المطالع» وعدده (١٠٢) مؤلف.

٥- ما أُلِّف في واقعات الفتاوى، ومنه «القول الفصيح في تعيين الذبيح»، وعدده (٨٠) مؤلفاً.

٦- مؤلفات لا يَعْتَدُّ بها؛ لأنه ألَّفها زمن السماع والتحصيل، ومنه «المنتقى من تفسير ابن أبي حاتم»، وعدد هذا القسم (٤٠) مؤلَّفاً.

---

(١) انظر تفصيلها في حياة جلال الدين السيوطي مع العلم: ٤٨-٥١، والإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن للدكتور محمد الشربجي: ١٨٣-١٨٨.

(٢) انظر: حسن المحاضرة: ١/٣٣٧.

٧- ما شرع فيه وفتر عزمه عنه، فلم يكتب منه إلا القليل، ومنه «مجمع البحرين ومطلع البدرين»، وعدد هذا القسم (٨٣) مؤلفاً[١].

وقد اخْتُلِف في عدد مؤلفاته اختلافاً بيناً؛ إذ أعطى هو إحصائيات متفاوتة عنها في مؤلفاته[٢].

وهذا يعدُّ معضلة دراسية لدى المهتمين بالتراث، وبمؤلفات السيوطي على وجه الخصوص.

ولهذا التباين أسباب متعددة وضَّح الدكتور يحيى الساعاتي بعضها في بحث له في ذلك[٣].

وهنالك مؤلفات مفردة تولَّت إحصاء مؤلفات السيوطي، منها:

١- «مكتبة الجلال السيوطي» للأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال (ت: ١٤٢٣هـ).

٢- دليل مخطوطات السيوطي، وأماكن وجودها، للأستاذين: أحمد الخازندار، ومحمد إبراهيم الشيباني.

٣- معجم مؤلفات السيوطي المخطوطة للدكتور ناصر بن سعود السلامة.

---

(١) انظر: التحدث بنعمة الله: ١٠٥-١٣٦.

(٢) انظر: حسن المحاضرة ١/٣٣٨، التحدث بنعمة الله: ١٠٥-١٣٦.

(٣) بعنوان: «مشكلة العنوان في مؤلفات السيوطي، وأثرها في اضطراب إحصاء عددها بين الدارسين» نشر ضمن البحوث المختارة من الندوة التي أقامتها (الإيسسكو) ص: ١٠٣-١٢٣.

وبالجملة فهي تبلغ نحو (٦٠٠) مؤلف، يقول تلميذه الشاذلي: «وفي آخر الأمر بالقرب من وفاته قرأت عليه «الفهرست» المتضمن لأسماء مؤلفاته، التي استقر رأيه على إبقائها وإظهارها ونشرها، وهي قريب من نحو ستمئة مؤلف، وأجازني -رحمه الله- برواية جميعها»[١].

ونشير هنا إلى أن السيوطي ذكر في كتابه «الإتقان» ثمانية عشر كتاباً من كتبه في مواضع عديدة[٢].

وتقدَّر مؤلفات السيوطي المطبوعة بـ(٣٣١) عنواناً، والمتبقي ما بين مخطوط، أو مفقود، أو مجهول المكان[٣].

● **وفاته:**

مرض السيوطي قبل موته بسبعة أيام بإصابته بورم شديد في ذراعه اليسرى، حتى جاءه الأجل المحتوم سحر ليلة الجمعة في التاسع عشر من الشهر الخامس، سنة إحدى عشرة وتسعمئة، وقد بلغ من عمره (٦١) سنة، ودفن بحوش قوصون خارج باب القَرافة في مدينة القاهرة مسقط رأسه[٤]، رحمه الله.

---

(١) بهجة العابدين: ٢٨٠.

(٢) انظر: الإتقان: ١/ ٢٣، ٦٨، ٢/ ١٢١، ٢٩٩، ٣/ ١٥٤، ٤/ ٣٥، وانظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٧.

(٣) انظر: إحصاء الطباع لذلك في الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي: ٣١٢-٣١٣.

(٤) بهجة العابدين: ٢٥٧، الكواكب السائرة: ١/ ٢٣١.

ب- التعريف بكتاب «الإتقان في علوم القرآن»

تمهيد:

-١-

تاريخ التأليف في علوم القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ مفرقاً، وكان يتلوه على أصحابه رضي الله عنهم، ويعلمهم إياه، وقد بلغوا رتبة عظيمة في حرصهم على تعلمه، بل كانوا يتناوبون في أوقات هذا التعلُّم.

وبسبب ما امتاز به الصحب الكرام من قوة الحفظ، وصفاء الذهن، وسرعة الفهم، وقربهم من النبي ﷺ، لم يحتاجوا إلى كتابة شيء من تفسير القرآن أو علومه المتنوعة، مع أن طائفة من هذه العلوم كانت شائعة لديهم، نحو: أسباب النزول، والمكي والمدني، وفضائل القرآن، وناسخه ومنسوخه.

وتعَدُّ فترة الخلافة الراشدة تمهيداً لبداية التدوين في بعض أنواع علوم القرآن، كرسمه، وضبطه، وإعرابه. ثم دُوِّنت أنواع من علوم القرآن مع بداية تدوين الحديث النبوي، ونجد أن هنالك جملة وفيرة من مباحث علوم القرآن مفرقة في كتب السنة ومجاميعها، نحو: نزول القرآن، وجمعه، وفضائل بعض السور، وآداب التلاوة وصفتها، ونزول القرآن على سبعة أحرف.

ولا نُبعد القول إذا عددنا المحدِّثين أول من اعتنى بعلوم الكتاب الكريم من جهة تدوينها وجمعها. وكذلك ضمَّت كتب المغازي والسِّيَر طائفة صالحة من أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتفسير.

ثم ظهرت -في وقت مبكر- بعض المصنفات المفردة في علوم القرآن، نحو كتاب: «القراءات» ليحيى بن يَعْمَر العَدْواني (ت: ٨٩هـ)، الذي كان إماماً للناس في القراءة إلى أن ألَّف أحمد بن موسى بن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) كتابه: «السبعة في القراءات»[1].

وكتاب «الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى» لقتادة بن دِعامة السَّدوسي (ت: ١١٧هـ).

وكتاب «التصاريف» -وهو في الوجوه والنظائر القرآنية- ليحيى بن سلاَّم (ت: ٢٠٠هـ).

ونلحظ من خلال المراحل السالفة أن «علوم القرآن» أينعت ثمارها، وبدأت تتضح معالمها في ثنايا أربعة علوم:

١- علم الحديث النبوي، كما سبقت الإشارة إليه.

٢- علم اللغة:

ويبرز في هذا المجال منهج حَبر القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير ألفاظ القرآن الغريبة والاستشهاد لها بشعر العرب، متمثلاً فيما عرف بـ«مسائل نافع بن الأزرق» الخارجي (ت: ٦٥هـ)، الذي أراد

(١) انظر: مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٥.

امتحان ابن عباس وهو يفسِّر القرآن بفناء الكعبة والناس يسألونه.
وهذه المسائل من أوائل ما وصلنا في هذا الجانب[١].
ثم ظهرت مؤلفات في نهاية القرن الثاني من الهجرة تدور حول القرآن الكريم من جهة لغته، كإعراب الألفاظ القرآنية التي تتصل بتوجيه المعنى، أو تفسير الكلمات القرآنية -التي اختلف القراء فيها- تفسيراً لغوياً، ومن تلك المؤلفات كتاب «معاني القرآن» ليحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ).

٣ - علم التفسير:

نُثرت من خلال هذا العلم أنواع من «علوم القرآن»، مثل: أسباب النزول، وإعراب القرآن، ومبهماته، والوقف والابتداء، وغريب القرآن، وغير ذلك من المباحث التي تزخر بها كتب التفسير المتقدمة؛ بسبب تنوع اتجاهات التفسير ومدارسه.
ويحسن أن نشير هنا إلى أن مصطلح «علوم القرآن» كان يراد به التفسير قبل المئة الخامسة من الهجرة.

٤-أصول الفقه:

بدأت ملامح «علوم القرآن» تظهر في كتب مؤسس هذا العلم ومقعِّد قواعده: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى؛ وذلك في كتابيه: «الرسالة»، و«جماع العلم». ثم بعد ذلك بحث علماء

(١) قال السيوطي: «وأسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس مشهورة مروية لنا بالإسناد المتصل» التحدّث بنعمة الله: ١٦٢، وجملة أسانيدها التي بين أيدينا ضعيفة.

الأصول عدة مباحث من أنواع «علوم القرآن» في كتبهم، نحو: تعريف القرآن، والكلام على تواتره، والقراءات وأنواعها، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ.

بعد بروز «علوم القرآن» من خلال الشُّعَب الأربع السابقة، أُلِّف في هذا العلم في بعض مقدمات التفاسير، كما صنع الإمام محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وحامد بن أحمد بن بِسْطام (ت: بعد ٤٢٥هـ) في صدر تفسيره: «المباني لنظم المعاني»[١]، والماوَرْدي (ت: ٤٥٠هـ) في تفسيره: «النكت والعيون».

وهذه الأمثلة المذكورة هي مع استهلال «علوم القرآن» وبداية التأليف فيها.

ثم برزت مؤلفات حوت أنواعاً من «علوم القرآن» في ثنايا الموضوع العام الذي يتحدّث عنه الكتاب، نحو: «الانتصار لنقل القرآن» للقاضي الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، و«جواهر القرآن ودرره» لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، و«المجتبى من المجتنى» لأبي الفرج بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

ثم أُلِّفت مصنفات تجمع عدداً من مباحث «علوم القرآن»، نحو:

- «البرهان في مشكلات القرآن» لأبي المعالي عَزِيزي بن عبدالملك المعروف بشَيْذلة (ت: ٤٩٤هـ).

---

(١) مقدمة تفسيره «المباني لنظم المعاني» مطبوعة ضمن كتاب: «مقدمتان في علوم القرآن»، بتحقيق المستشرق آرثر جفري.

- «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» لابن الجوزي.
- «جمال القراء وكمال الإقراء» لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ).
- «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ).

وقد وصف السيوطي هذه الكتب الأربعة موازناً بها كتابه «الإتقان» فقال: «وكلّها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبة رمل في جنب رَمْلِ عالج، ونقطة قطر في حيال بحر زاخر»[١].

ثم ألَّف الطوفي: أبو الربيع سليمان بن عبدالقوي الصَّرْصري (ت: ٧١٦هـ) كتابه «الإكسير في قواعد التفسير» ويظهر أن هذا الكتاب لم يتيسَّر للسيوطي الوقوف عليه.

ثم ألَّف شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) مقدمته في أصول التفسير، وهي زاخرة بالقواعد والفوائد.

ثم أُلِّفت عدة كتب في «علوم القرآن» -ذكرها السيوطي -رحمه الله- في مقدمة «الإتقان»- حتى أهلَّ كتابه: «الإتقان في علوم القرآن»[٢].

(١) الإتقان ١/١٨.
(٢) انظر في هذا العرض التاريخي: «علوم القرآن بين البرهان والإتقان» دراسة مقارنة للدكتور حازم بن سعيد حيدر: ٦٣-٨٢، ٩٧-١٠٥.

-٢-

تاريخ تأليف «الإتقان» والعوامل التي ساعدت على تأليفه :

تعجَّب السيوطي في زمان طلبه للعلم من المتقدمين؛ لكونهم لم يؤلفوا كتاباً في أنواع «علوم القرآن» كما صنعوا بالنسبة لعلم الحديث(١).

ثم اطلع على كتاب شيخه الكافيجي (ت: ٨٧٩هـ): «التيسير في قواعد علم التفسير» ونسَخَه عنه. ثم اطلع على كتاب جلال الدين البُلْقيني (ت: ٨٢٤هـ): «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، ودعاه وقوفه عليه إلى أن يصنِّف كتابه: «التحبير في علم التفسير»، وأتمه عام (٨٧٢هـ)، وكتبه عنه من هو في طبقة شيوخه(٢).

وعلى عادة السيوطي في بعض الفنون أنه يؤلِّف كتاباً ثم ينشئ آخر أوسع منه، خطر له أن يضع كتاباً مبسوطاً في «علوم القرآن» يسلك فيه طريق الإحصاء ويمشي فيه على منهاج الاستقصاء(٣).

وبقي هذا الخاطر حبيساً في خَلَده حتى سمع بكتاب «البرهان» للزركشي فوقف عليه، وسُرَّ به، وقطع عليه تردده في التأليف، وقوّى عزمه على إنشاء التصنيف الذي كان يطمح إليه ويضمره.

---

(١) الإتقان: ١/ ٤.
(٢) المصدر السابق: ١/ ١٠.
(٣) المصدر السابق: ١/ ١٠.

كما أزال عنه توهمه بأنه تفرَّد بوضع كتابه: «التحبير»، فتضافرت هذه العوامل مجتمعة فشدَّت حزمه وقوَّت عزمه على قصده، فألَّف -رحمه الله- كتابه: «الإتقان» في سنة (٨٧٨هـ) -وعمره إذ ذاك تسعة وعشرون عاماً- سوى أشياء من إضافات وتتمات ألحقها بعد هذا التاريخ المذكور.

وقد صرَّح بهذا التاريخ، وتلك الإلحاقات تلميذه شمس الدين محمد ابن علي الداودي (ت: ٩٤٥هـ) فيما ورد في نهاية نسخة «الإتقان» المصوَّرة من وزارة الأوقاف الكويتية[١].

فعلى هذا التاريخ يكون ما بين تأليفه كتاب «التحبير في علم التفسير»، و«الإتقان» ست سنوات.

---

(١) انظر منها الورقة (٢٨٤)، ومعجم المطبوعات العربية والمعرَّبة ١/ ١٠٧٤. لم نقف على قول الداودي في ترجمته لشيخه السيوطي في القطعة المنشورة من الترجمة -وهي الباب الرابع من الكتاب المتضمن أسماء مصنفاته-، واقتصر الداودي على قوله: «الإتقان في علوم القرآن: مجلد كبير». انظر: مجلة الدرعية «العددين: ١١، ١٢» ص: ٣٧٦.

القيمة العلمية للإتقان

يلحظ المتأمل في كتب السيوطي -رحمه الله- أنه يسعى إلى الجمع المتكامل في أبواب علوم الشريعة والعربية، فنجده ألَّف في عديد من علومهما. ففي حقل الدراسات القرآنية: صنّف في التفسير بالمأثور وبالدراية، وصنَّف في «علوم القرآن» بصورة مجموعة، وأفرد بعض المباحث في «علوم القرآن» بكتب مستقلة، نحو: المعرَّب، وفضائل القرآن، والمبهمات، وأسباب النزول، وتناسب الآيات والسور، والناسخ والمنسوخ، والمتشابه اللفظي، وأحكام القرآن، والمجاز.

ويقصد من وراء هذه المصنفات إلى أن تكون لدى العالم والمتعلم مكتبة متكاملة في الدراسات القرآنية.

وقد أشار إلى هذا المقصد في فاتحة كتابه: «أسرار التنزيل»، فقال عنه وعن مؤلفاته التي سمّاها: «فإذا تم هذا الكتاب، وانضم إلى تلك الكتب، استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير»(١).

وأراد -رحمه الله- من تآليفه في «علوم القرآن» بمفهومها العام أن تحوي جانب الرواية وأقوال السلف، وجانب الدراية واستنباطات أهل العلم.

ويرى أن كتابه: «الإتقان» أهم تآليفه في «علوم القرآن»، فيقول: «فأجلُّ ما وضعت من ذلك: كتاب «الإتقان في علوم القرآن»، وهو

(١) قطف الأزهار ١/ ٩٨.

كالمقدمة لمن يريد التفسير، وأكثره قواعد كلية، وفيه من الفوائد ما لم يجتمع في غيره»[١].

ولما سرد مؤلفاته ذكر «الإتقان» من القسم الأول منها، وهو كما يقول: «ما أدَّعي فيه التفرد، ومعناه أنه لم يؤلَّف له نظير في الدنيا فيما علمت. وليس ذلك لعجز المتقدمين عنه، معاذ الله! ولكن لم يتفق أنهم تصدَّوا لمثله. وأما أهل العصر فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله؛ لما يُحتاج إليه من سَعَة النظر، وكثرة الاطلاع، وملازمة التعب والجد»[٢]. ثم عدَّ كتابه «الإتقان» أول هذه المصنفات من هذا القسم. وسوف نعرض ملامح من قيمة هذا الكتاب العلمية، من خلال المباحث التالية.

- ١ -

زيادات السيوطي في «علوم القرآن»:

أفاد السيوطي من كتاب «البرهان» للزركشي إفادة ظاهرة، واقتفى أثره بصورة عامة، إلا أنَّ عمله في «الإتقان» لم يكن الوجه المقابل له. فقد أضاف السيوطي مباحث جديدة إلى «علوم القرآن»، تُعَدُّ نقلة مهمة في تاريخ التأليف في هذا العلم.

ويَنْظُمُ هذه الإضافات الجديدة في مباحث «علوم القرآن» أربعة أقسام:

---

(١) المصدر السابق ١ / ٩١.

(٢) التحدّث بنعمة الله: ١٠٥، وكلامه هذا فيه مبالغة.

* القسم الأول: ما لم يُسبق إليه:

أثرى السيوطي علم «علوم القرآن» بإضافته ثلاثة أنواع لم يُسبَق إليها، وهذه الأنواع هي:

الأرضي والسمائي، وفيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة، وما أُنزل منه على بعض الأنبياء، وما لم يُنْزَل منه على أحد قبل النبي ﷺ(١).

ويلتحق بهذه الأنواع الثلاثة، الشق الثاني من النوع الثاني عشر في «الإتقان»، وهو: «ما تأخر حكمه عن نزوله، وما تأخر نزوله عن حكمه»؛ لأن الشطر الثاني من هذا العنوان لم يتناوله أحد ممن تكلّم في «علوم القرآن» فيما نعلم.

* القسم الثاني: إضافات السيوطي الجديدة إلى ما في «البرهان» للزركشي.

أغنى السيوطي مباحث «علوم القرآن» بإضافته عشرة أنواع جديدة ليست عند الزركشي، لكن أصول مفرداتها منثورة عند من ألَّف بصورة مجموعة أو مفردة في هذه المباحث.

وهذه الأنواع هي: الصيفي والشتائي، والفراشي والنومي، وما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً، ومعرفة العالي والنازل من أسانيده، ومعرفة المشهور، والآحاد، والموضوع، والمدرَج، وفي الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب،

(١) انظر الإتقان ١/٦٧، ٩٩، ١١٢، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٤٧٣-٤٨٣.

وفيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب(١).

* **القسم الثالث: علوم القرآن التي أصلها في «البرهان» للزركشي.**

أضاف السيوطي تسعة وعشرين نوعاً من أنواع «علوم القرآن» المبثوثة في برهان الزركشي، وهي إضافة تفريعية إلى تلك الأنواع التي في «البرهان»؛ لأن السيوطي أراد أن يَمُدَّ بعض المعلومات التي يذكرها الزركشي، فيأخذ ما عقده تحت عنوان: «فصل»، أو «فائدة»، أو «تنبيه»، ونحوها من الفقرات، فيبسطها ويتوسع في تفريعاتها، فينتج عن ذلك نوع من أنواع «علوم القرآن»، مثل: الحضري والسفري، والنهاري والليلي، وما تكرر نزوله، وما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً...(٢).

* **القسم الرابع: إضافات المسائل الجديدة.**

أمدَّ السيوطي مباحث «علوم القرآن» بمسائل جديدة لم ترِد في كتاب «البرهان» للزركشي، وتعدّ هذه المسائل إضافات مهمة في المباحث التي ذكرت فيها.

وجملة هذه المسائل المضافة مئة وخمسون مسألة، مثل: ذِكْر السيوطي ستة طرق للترجيح بين أسباب نزول القرآن حين اختلافها، وإفاضته في تفصيلها والتمثيل لها، قال في نهايتها: «تأمَّل ما ذكرته لك في هذه

---

(١) انظر: الإتقان: ١/٦٣، ٦٥، ١٠٧، ٢٠٧، ٢١٥-٢١٦، ٤/٥٨، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٤٤٩-٤٧١.

(٢) انظر تفصيل المباحث التسعة والعشرين في: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٤٠٧-٤٤٨.

المسألة، واشدد به يديك؛ فإني حرَّرته واستخرجته بفكري من استقراء صنيع الأئمة، ومتفرقات كلامهم، ولم أُسْبَقْ إليه»(١).

ونحو إيراده اثنتين وثلاثين كليَّة من كليَّات القرآن الكريم، استخلصها من الأحاديث وآثار بعض الصحابة والتابعين(٢).

ويلاحظ على المسائل التي أضافها السيوطي أن بعضها أوردها على سبيل «قاعدة»، أو «فائدة»، وجزءاً منها ساقها تلخيصاً لكتاب من كتبه، مثل: فصل الألفاظ المعرَّبة الواقعة في القرآن، فقد لخصها من كتابه: «المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب».

-٢-

وقفاته التقويمية:

بدت من السيوطي -رحمه الله- وقفات نقدية أثناء عرضه بعض القضايا أو المسائل المذكورة في «الإتقان»، حرَّر من خلالها بعض المباحث المطروقة لديه، نحو: إحكامه لضابط سبب النزول، وهو: ما نزلت الآية أيام وقوعه، أي مجيبة عنه أو مبينة لحكمه. فأخرج بهذا الضابط ما ذكره الواحدي من أن سبب نزول سورة الفيل هو قصة قدوم الحبشة لهدم الكعبة.

---

(١) الإتقان ١/٩٨.

(٢) الإتقان ٢/١٣٥-١٣٩. وانظر تفصيل إضافته للمسائل المذكورة في: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٠٢-٥٣٣.

قال السيوطي: «فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة نوح وعاد وثمود، وبناء البيت، ونحو ذلك»[١].

وكذلك أخرج بهذا الضابط من أسباب النزول ما ذكره الواحدي -أيضاً- من سبب اتخاذ الله إبراهيم خليلا[٢].

ونحو تقويمه رأي بعض فضلاء عصره -كما سماه-، وهو برهان الدين البقاعي الذي يرى أن الكتب المنزلة السابقة نزلت مفرقة كالقرآن، ولا دليل على نزولها جملة واحدة[٣].

فبيَّن السيوطي ضعف هذا الرأي من الآيات والأحاديث والآثار[٤]. وقد أُحصي له سبعة عشر موضعاً جَلِيّاً، وقف فيها موقف المصحح الناقد لما يورده[٥]، دون المواضع التي رد الأقوال التي يحكيها؛ لضعف القول[٦]، أو قصور فيه[٧]، أو تصحيف في الرواية[٨]، ونحوها من الأسباب.

(١) الإتقان ١/ ٩٠، وقارن مع أسباب النزول للواحدي: ٥٣٨.

(٢) الإتقان ١/ ٩٠، وأسباب النزول للواحدي ٢١٢-٢١٤.

(٣) انظر رأيه في تفسيره: نظم الدرر ٥/ ٥٠٧-٥١٢، ١٣/ ٣٨٠.

(٤) الإتقان ١/ ١٢٢-١٢٤.

(٥) انظر تفصيلها في علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٣٥-٥٤٨.

(٦) الإتقان ١/ ١٥٣.

(٧) المصدر السابق ٣/ ٢٧.

(٨) المصدر السابق ٤/ ٢٤٢.

-٣-

اختياراته:

عُرِف السيوطي بولعه في جمع الأقوال وإيرادها في عديد من القضايا، سواء كانت في علوم القرآن، أو مصطلح الحديث، أو علوم اللغة، أو غيرها من العلوم التي خاض غمار التأليف فيها.

ويعد اختياره رأياً من جملة ما يورده من الأقوال أمراً نادراً عنده؛ لما غلب عليه من حب للجمع والاستقصاء على طريقة المكثرين من أهل الرواية.

أما اختياراته في علوم القرآن في كتاب «الإتقان» فيمكن تصنيفها إلى منحيين:

المنحى الأولى: ما أبدى رأيه فيه في ثنايا «الإتقان».

وهي مسائل معدودة فيه، من ذلك:

١- حقيقة الموحى به إلى النبي ﷺ:

نقل السيوطي في هذه المسألة ثلاثة أقوال[١]، وانتقى منها -أثناء عرضه لها- أن القرآن الكريم تلقاه جبريل من الله سماعاً، وأداه بلفظه.

قال السيوطي: «لأن جبريل أداه باللفظ، ولم يُبَح له إيحاؤه بالمعنى، والسرُّ في ذلك: أن المقصود منه التعبُّد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه»[٢].

---

(١) المصدر السابق ١/١٢٦، ١٢٧.

(٢) المصدر السابق ١/١٢٨.

٢- المعرَّب:

ذكر أن العلماء اختلفوا في وقوع المعَرَّب في القرآن الكريم: فمنهم من منع وقوعه، ومنهم من أجازه، ثم قال: «وأقوى ما رأيته للوقوع -وهو اختياري- ما أخرجه ابن جرير عن أبي ميسَرة التابعي الجليل قال: «في القرآن من كل لسان»[١].

وقد تضمن «الإتقان» ستة اختيارات صريحة في عدة مسائل في علوم القرآن واللغة[٢].

المنحى الثاني: ما أبدى فيه اختياره في غير «الإتقان».

وهي ثلاثة اختيارات:

١- معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

اقتصر السيوطي في «الإتقان» على جمعه للأقوال التي وقف عليها في هذه المسألة، دون موازنة أو اختيار[٣]. لكنه أبدى رأيه في هذه القضية الشائكة أثناء شرحه لحديث نزول القرآن على سبعة أحرف في سنن النسائي، فقال: «والمختار عندي أنه من المتشابه الذي لا يُدْرَى معناه»[٤].

وقد تابع في اختياره هذا ابن سَعْدان النحوي (ت: ٢٣١هـ) الذي رأى أن هذا الحديث من المشكل الذي لا يدرى معناه.

---

(١) الإتقان ٢/١٠٦.

(٢) انظر علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦١٤-٦١٥.

(٣) انظر الإتقان ١/١٣١-١٤١.

(٤) زهر الربى على المجتبى ٢/١٥٢.

٢- إعجاز القرآن :

سرد في «الإتقان» سبعة عشر قولاً في الأقوال المحكية في إعجاز الكتاب العزيز، وبم يكون؟ ولم يرجح بينها أو يختر منها[١]. ثم نجده في كتابه «المعترك» يختار رأي السكاكي، فيقول: «والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه كما قال السكاكي في «المفتاح»: اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه...»[٢].

٣- أفضل القرآن وفاضله :

ذكر السيوطي مذهبي المجيزين والمانعين في وجود التفاضل في ألفاظ القرآن ومعانيه، أو منع تفضيل شيء على شيء من القرآن، دون تدخل منه في هذه المسألة[٣]. ثم نراه يبدي رأيه فيها في كتابه «إتمام الدراية» عقب إشارته إلى وجود التفاضل بقوله: «وهو الصواب الذي عليه الأكثرون»[٤].

- ٤ -

قيمة مصادر «الإتقان» :

تستمد مصادر كل كتاب قيمتها العلمية من المزايا التي تتسم بها، وتكشف لنا عن ثقافة الكاتب الذي تعامل معها، ومدى اطلاعه على فنون العلم.

---

(١) الإتقان ٤/ ٦-١٥.

(٢) معترك الأقران ١/ ٣-٤.

(٣) الإتقان ٤/ ١١٧-١١٨.

(٤) إتمام الدراية لقراء النُّقاية: ٢٣.

ولا شك أن السيوطي -رحمه الله- يمتاز في كثير من كتبه بوفرة مصادره التي يعود إليها، وقد بدا هذا الأمر واضحاً في «الإتقان»؛ إذ بلغت مصادره فيه نحو (٥٥٠) مصدراً على وجه الإجمال، ويدخل في هذا العدد المصادر التي سمَّاها في المقدمة، وعددها (١٥٧) مصدراً. إلا أن مصادره التي سماها في مطلع كتابه ذكر منها في ثناياه (١٢٨) كتاباً، وصمت عن (٢٩) منها[١].

وشملت مصادره على وجه العموم أحد عشر علماً، هي: التفسير وعلوم القرآن، والحديث، والعقيدة، والفقه، والأصول، والسيرة النبوية، والزهد والسلوك، واللغة وفروعها، والتراجم العامة، والتراجم الخاصة، والفنون العامة[٢].

وقد تسنى للسيوطي -أثناء تأليفه: «الإتقان»- أن يقف على أربعة كتب بخطوط مؤلفيها، وهي: تهذيب الأسماء واللغات للنووي، وجمال القراء لعلم الدين السخاوي، ومختصر المستدرك للذهبي، وتذكرة تاج الدين السبكي[٣].

ونقل -أيضاً- من خط الحافظ ابن حجر مرتين، ولم يبيِّن مصدره[٤].

---

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٧٧، ٥٧٨-٥٧٩.

(٢) انظر: إحصائيات المصادر بحسب العلوم المندرجة تحتها في المصدر السابق: ٥٧٩-٥٩١.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٥٩٥.

(٤) الإتقان: ٣/ ٢٥١، ٤/ ١٣٦.

كما أنه كان يصف بعض الكتب التي يوردها في «الإتقان» مبرزاً محاسنها أو مبيناً عُوارها، نحو وصفه تفسيره «مجمع البحرين» بأنه التفسير الذي لا يحتاج معه إلى غيره(١).

وذكر أن اختصار إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢هـ) لكتاب «أسباب النزول» للواحدي كان بحذف أسانيده دون زيادة(٢).

وقال في أسماء من نزل فيهم القرآن: «رأيت فيهم تأليفا لبعض القدماء، لكنه غير محرر»(٣).

وتتضح القيمة العلمية لمصادر السيوطي في «الإتقان» بجلاء من عدَّة جوانب:

١- حفظ السيوطي -رحمه الله- لنا نصوصاً عديدة من كتب مفقودة، في مباحث كتابه، نحو: تفسير الفريابي (ت: ٢١٢هـ)، وأبي الشيخ بن حيَّان (ت: ٣٦٩هـ)، وأبي بكر بن مردويه (ت: ٤١٠هـ)(٤). وكتاب «الإفراد والجمع» لأبي الحسن الأخفش (ت: ٢١٥هـ)، الذي ذكر فيه جَمْع ما وقع في القرآن مفرداً، ومفرد ما وقع جمعاً(٥)، وغيرها.

---

(١) المصدر السابق: ٤/ ٢١٣-٢١٤.
(٢) الإتقان: ١/ ٨٢.
(٣) الإتقان: ٤/ ١٠١.
(٤) انظر بيان هذه المواضع في: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٨٠.
(٥) انظر: الإتقان ٢/ ٣٠٢-٣٠٥، ٤/ ٧٢.

٢- إمكان أخذ تصوُّر عن كتاب مفقود من حيث محتواه وترتيبه: نحو كتاب: «المصاحف» لأبي بكر محمد بن عبدالله بن أشتة الأصبهاني (ت: ٣٦٠هـ)، فقد نقل عنه السيوطي اثنين وأربعين نصاً[١]. وكتاب: «البرهان في مشكلات القرآن» لأبي المعالي عَزِيزي بن عبدالملك المعروف بشَيْذَلة (ت: ٤٩٤هـ)، وهو من الكتب التي ضَمَّت طائفة يسيرة من أنواع «علوم القرآن» جُمِع بعضها إلى بعض، وقد نقل عنه السيوطي اثنين وعشرين نصاً[٢].

٣- إضافة نصوص ناقصة إلى كتب مطبوعة: نحو نقل السيوطي أربعة أقوال للشافعي في قوله تعالى: ﴿... وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ...﴾[٣] عن تفسير الماوردي «النكت والعيون»، والذي فيه ثلاثة أقوال، بل نقص جزء من القول الثالث[٤]، بينما نجدها أربعة وافية عند السيوطي[٥]، فيمكن تكميل هذا النقص من «الإتقان»، إذا لم يتوافر في نسخ أخرى من تفسير الماوردي.

---

(١) انظر: الإتقان -مثلاً- ١/١٤٢، ١٦٦، ١٦٧، ٢/٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٧، ٤/١٤٥، ١٤٩، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٧٠.

(٢) انظر الإتقان - مثلاً - ١/١٣٧، ١٣٨، ١٤٣، ٢/١٠٦، ١١٢، ٣/٢٧٠، ٤/٣٣، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٧٠.

(٣) الآية: ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٤) انظر: النكت والعيون ١/٢٨٩-٢٩٠ «ط. الكويتية»، ١/٣٤٩-٣٥٠ «ط. دار الكتب العلمية».

(٥) الإتقان: ٣/٥٧-٥٨.

ونقل السيوطي نصاً عن كتاب: «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي، وفيه: «قال ابن العربي: ولعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض. قال: وأما ما نزل تحت الأرض فسورة المرسلات، كما في الصحيح عن ابن مسعود»(١).

وهذه الإضافة التي أضافها السيوطي عن ابن العربي ليست في مطبوعة «الناسخ والمنسوخ»(٢) بتحقيق الدكتور عبدالكبير المدغري.

-٥-

مميزاته:

برزت جوانب فيما سبق من ميزات «الإتقان»، نحو إضافاته الجديدة في «علوم القرآن»، وابتكاراته فيها، ووقفاته التقويمية في بعض المسائل، واختياراته، والقيمة العلمية لمصادره.

ينضاف إلى ما ذكر بعض المزايا التالية:

١- أجاد السيوطي -رحمه الله- الكتابة في بعض أنواع «علوم القرآن» التي عرضها، مثل «عامه وخاصه»، و«طبقات المفسرين»، فأحسن ترتيبهما، وأضاف إضافات جديدة، وحرَّر كتابته فيهما ففاق ما سطره في كتابه: «التحبير».

٢- اهتم في «الإتقان» بالمسائل الكبار وأعرض في الغالب عن الأمور التي لا يُرى طائلٌ تحتها، فنراه يعرِّض بالاشتغال بعَدِّ حروف القرآن وكلماته، فيقول: «والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته...؛ فإن

(١) الإتقان: ١/ ٦٧.

(٢) انظر منه: ٢/ ١٦.

كتابنا موضوع للمهمات لا لمثل هذه البطالات »[١].

٣- انتقد السيوطي بعض الأقوال التي حكاها في « الإتقان » بنوع انتقاد؛ بسبب ضعف القول، أو لكونه لا مستند له، أو قصور فيه، أو بسبب تصحيف في الرواية، أو مخالفته الإجماع[٢].

وقد اعترض على أقوال لأهل العلم بنقول عن غيره، كتعقبه كلام إمام الحرمين في « البرهان »[٣]، والسهيلي[٤]، وعبدالرزاق في تفسيره[٥].

وتعقب الزركشيَّ وخالفه الرأي، أو بيَّن وهمه في سبعة مواضع[٦].

وتصدَّى لنقد (١٧٩) حديثاً وأثراً في كتابه، وحكم على أسانيدها بالصحة، والحسن، والضعف، والنكارة، والغرابة، والانقطاع، والإرسال، والوقف، والوضع، وبرجاله ثقات، ولا بأس بإسناده، وبسند صالح، وحكم على بعض الرواة بألفاظ الجرح والتعديل[٧].

---

(١) الإتقان: ١ /١٩٧، وانظر تعقبه في مقدمة فنون الأفنان ٩٠-٩١.

(٢) انظر: الإتقان -على الترتيب-: ١ /١٥٣، ٥١، ٣ /٢٧، ٤ /٢٤٢، ١ /١٠٦.

(٣) المصدر السابق: ١ /٨١.

(٤) المصدر السابق: ٣ /٢٦-٢٧.

(٥) المصدر السابق: ٤ /٦٥.

(٦) انظر: الإتقان -مثلاً-: ١ /٢٢٢، ٢ /١٩٩، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦١٦.

(٧) الإتقان -مثلاً-: ١ /٣٠، ٢ /١٠٦، ٣ /٢٤، ٤ /٢١٦، ٢١٩، وانظر علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٦٣.

٤- تصديره كثيراً من المباحث بأهم المصنفات في النوع المندرجة تحته:

وهي إضاءة جليلة -تبع فيها السيوطي الزركشي- وزاد عليه زيادات جيدة، تطلع الباحث على أهم مصادر الموضوع.

وكان السيوطي يقترح إفراد بعض الأنواع بالتأليف، كقوله في مطلع نوع الموصول لفظاً المفصول معنى: «هو نوع مهم، جدير أن يفرد بالتصنيف»[١].

٥- يسَّر السيوطي بهذا الجمع في «الإتقان» سبل البحث والدراسة؛ لأنه جمع مادة علمية يصعب على كثير الاطلاع عليها في مظانها، واستطاع أن يستوعب كثيراً من مصادره التي سماها في مقدمة كتابه، وأن ينقل الكثير مما اشتملت عليه، أو مما انفردت به، وهي مزية -كما يقول الدكتور النبهان-: «لا يمكننا تجاهل أهميتها»[٢]. وقد أشار السيوطي إلى هذا الجمع بوصف «الإتقان»: «مخضت فيه كتب العلم على تنوعها، وأخذت زبدها ودَرَّها، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها، واقتطفت ثمرها وزهرها...، وتجمَّع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى»[٣].

---

(١) الإتقان: ١/ ٢٥٢.

(٢) مجلة دار الحديث الحسنية العدد (١١) ص: ١٧، ضمن بحث: شخصية السيوطي من خلال كتابه الإتقان في علوم القرآن.

(٣) الإتقان: ٤/ ٢٥٨.

وقال –أيضاً–: «وفيه من الفوائد ما لم يجتمع في غيره»(١).

٦– يعد «الإتقان» من أُمَّات الكتب المعتمد عليها في الدراسات القرآنية، وهو من أكثرها شهرة، «ولا يمكن لباحث في علوم القرآن أن يستغني عنه، فهو يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه»(٢).

ويمكن القول: إن كتاب «الإتقان» يحوي أكثر ما كتبه السيوطي عن علوم القرآن في كتبه الأخرى، فكأنه كتبها رسائل من مباحث مختلفة ترتبط بالقرآن من أسباب التنزيل إلى المتشابه فالمبهمات وتناسب السور والمُعَرَّب...، ثم جمعها كلها في «الإتقان في علوم القرآن»، الذي جعل اسمه أميل إلى الشمول؛ ليضم مختلف البحوث الأخرى التي اتجه كل منها إلى مبحث خاص(٣).

٧– استطاع السيوطي في عدد من أنواع «علوم القرآن»، أن يلخص كلام أهل العلم فيها بعبارة سهلة، لا استطراد فيها يخرجه عن لملمة زمام الموضوع المتحدَّث فيه، بل عَرَضه واضحاً منسقاً، بعبارة مختصرة.

(١) قطف الأزهار ١ / ٩١.

(٢) مجلة دار الحديث الحسنية العدد (١١) ص: ٢٢.

(٣) السيوطي وعلوم القرآن للدكتور محمد يوسف الشربجي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد (٦٧) الجزء (٤) ص: ٦٦٦.

-١-

منهج السيوطي في تأليف «الإتقان»

اتسم منهج السيوطي -رحمه الله- في «الإتقان» بظاهرة التلخيص والاختصار في معظم مباحثه.

فقد لخص بعض الأنواع من كتبه كما فعل في المعرَّب، والمبهمات، والآيات المدَّعى نسخها(١). ولخص بعض الأنواع من كتب غيره كما فعل في آداب التلاوة؛ إذ لخصه من كتابي: «التبيان»، و«المجموع» للنووي مع زيادات كثيرة(٢)، ولخص نوع بدائع القرآن من كتاب: «بديع القرآن» لابن أبي الإصبع المصري(٣).

واعتذر عن تفصيل أدلة أسماء سور القرآن الكريم -الثابتة بالأحاديث والآثار-، فقال: «ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك»(٤).

ويؤكد هذه الظاهرة لديه حبه لاستيعاب الأقوال في تآليفه، فهو يقول: «وحب الاستيعاب عند المصنفين -خصوصاً عندي- من آكد الواجب والفرض»(٥)، فيحمله حب الاستيعاب إلى الوجازة والاختصار.

---

(١) انظر: الإتقان ٢/١٠٥، ٤/٨٠-١٠٠، ٣/٦٥-٦٨.

(٢) المصدر السابق ١/٢٩٢.

(٣) المصدر السابق ٣/٣١٦.

(٤) المصدر السابق ١/١٥٠.

(٥) «مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي»، ضمن شرح المقامات ٢/٩٥١.

ولكون «الإتقان» جعله مقدمة لتفسيره الكبير «مجمع البحرين»، لم يتأنق في تحبيره، ويدقق في تحريره، ولم يصرف زمناً طويلاً في تأليفه مثل ما فعل في حاشيته على البيضاوي «نواهد الأبكار» التي نقحها بعد تأليف «الإتقان» وقال في مقدمتها: «فلما كان هذا العام الذي هو ختام القرن، رأيت أن أنظر في تبييض هذا الكتاب وتحريره، وتكميل ما بقي منه إلى آخره، فجمعت الموادَّ، وسلكت الجوادَّ، وحبرته تحبيراً وبالغت في تهذيبه تقريراً وتحريراً...»(١).

ومثل ما صنع في كتابه: «الخصائص الكبرى» الذي قال عنه: «ولقد أقمت في تتبع هذه الخصائص عشرين سنة إلى أن زادت على الألف...، وأنا الآن ساع في الزيادة، وكل وقت أظفر في المطالعة بخصيصة لم تكن قبل ذلك في كتابي مُفادة»(٢)؛ لذا فقد لمَّ «الإتقان» على عجلة من التأليف وسرعة في الكتابة، وفي برهة ليست طويلة.

ويقابل ظاهرة الإيجاز والتلخيص في «الإتقان» أسلوب النقل المجرد وحشد الأقوال دون نقد، أو إبداء رأي، كما فعل في نوع إعجاز القرآن الذي سرد فيه سبعة عشر قولاً دون تعليق(٣)، وأورد في مدة حمل مريم بعيسى عليه السلام سبعة أقوال متناقضة(٤)، وكذلك ما أورده في أسماء

(١) بهجة العابدين: ١٤١.

(٢) الفارق بين المصنف والسارق: ٤٣-٤٤.

(٣) الإتقان: ٤/٦-١٥.

(٤) المصدر السابق ٤/٦٧.

سورة الفاتحة التي أبلغها إلى خمسة وعشرين قولاً[١]، وما حكاه من الأقوال في تعيين سور المفصَّل[٢]، وما ذكره في الفرق بين التفسير والتأويل[٣].

ومع ذلك ظهرت منه -رحمه الله- مواقف تدلّ على ترويّه وتأنيه؛ فلم يسارع مثلاً في تخطئة ابن الفرس في تسميته سورة التوبة بالمبعثرة[٤]، وتوقف في قيام ما اختلف فيه علماء عدّ آي القرآن مقام قراءة الآية في خطبة الجمعة، فقال: «محل نظر، ولم أر من ذكره»[٥].

ويلحظ على السيوطي كثرة تكرار المباحث المتشابهة في مؤلفاته المتعددة -وهي صفة عند المكثرين في التأليف-، فعلى مستوى علوم القرآن كرَّر كثيراً من مباحث «الإتقان» في «معترك الأقران»، وكرَّر ما في «المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب» في نوع «ما نزل بغير لغة العرب» من «الإتقان»، وكذلك أعاد كثيراً مما في كتابه «مفحمات الأقران» في نوع المبهمات، وما سطره في مقدمة كتابه «الإكليل» سرده في ثنايا نوع: «العلوم المستنبطة من القرآن»، وذكر بعض فوائد أسباب النزول

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٥٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٨٠.

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٦٧-١٦٩.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٥٦.

(٥) المصدر السابق ١/ ١٩٦.

التي أوردها في مقدمة «لباب النقول» في نوع معرفة سبب النزول[١].

ومن منهجه أنه يضيف إلى «الإتقان» ما ظهر له لاحقاً، أو توصل إليه من معلومات لم يكن أضافها سابقاً، كما جاء مصرَّحاً عنه -فيما نقله عنه تلميذه الداودي- في نهاية «الإتقان»: «فرغت من تأليفه... سوى أشياء ألحقتها بعد ذلك»[٢].

ومما يدل على هذا المسلك أن هنالك مواضع في «الإتقان» تُرِكَتْ فارغة؛ من أجل أن يستكمل معلوماتها فيما بعد[٣]، لكن النسخ التي بين أيدينا لم تسعفنا باستكمال ما بيضه السيوطي في أصل الكتاب.

وكان من منهج السيوطي أن يراعي التناسب في ارتباط بعض الأنواع ببعض -أحياناً-، فنجده يقول في النوع العاشر -فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة-: «هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول»[٤]؛ لذا فقد جعله بعد النوع التاسع: معرفة سبب النزول.

---

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٦١.

(٢) مصوَّرة نسخة وزارة الأوقاف الكويتية: ٢٨٤.

(٣) مثل الفراغ الذي في النوع السابع والخمسين -في الخبر والإنشاء- فجاء في نهايته: «فصل: ومن أقسامه الشرط» وختم به النوع دون بيان. انظر: الإتقان ٣/٢٤٨ (ط. أبو الفضل)، ٢/٨٩٧ «ط. البغا»، والنسخ الخطية، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٣٢٠-٣٢١.

(٤) الإتقان: ١/٩٩.

وقال في مطلع النوع التاسع والعشرين -في بيان الموصول لفظاً المفصول حكماً-: «وهو أصل كبير في الوقف؛ ولهذا جعلته عقبه»[١]. واستخدم طريقة الإحالة على مسائل تقدمت[٢]، أو سيأتي بحثها[٣].

وقد يلجأ إلى توزيع البحث، نحو كلامه على فواتح السور المبدوءة بالحروف المقطعة في المحكم والمتشابه[٤]، بينما مكانها المناسب في نوع فواتح السور.

وظاهر من منهج السيوطي -أحياناً- ترك وفاء المسألة حقها، كما في دخول الغاية بعد «إلى وحتى»[٥].

ومن منهجه أنه يسوق كلام بعض المصنفين بأسانيدهم. ويذكر أقوال غير الشافعية في المسائل التكليفية التي ينبني عليها عمل.

ويستشهد ببعض الأبيات الشعرية التي فيها شاهد لقوله، من الشعر القديم وغيره، وأحياناً من نظمه، ويذكر شيئاً من المقارضات الشعرية بين العلماء.

والسيوطي هُمَام في عزوه الأحاديث والآثار التي ينقلها من مجاميع السنة والأجزاء الحديثية، لكنه -أحياناً- لا يعزو.

---

(١) الإتقان: ١/ ٢٥٢.

(٢) الإتقان: ٣/ ١٢١، ١٢٢، ١٢٣.

(٣) الإتقان: ٣/ ١١١.

(٤) الإتقان: ٣/ ٢١-٣٠.

(٥) الإتقان: ١/ ١٩٣.

ومـن مظاهـر منهجه -رحمه الله- أنه يوافق الزركشي في مسألة معينة -كذكره أن المشهور في المصاحف المرسلة إلى الأمصار أنها خمسة- ثم يخالفه في المصدر المنقول عنه؛ إذ نقل الزركشي من «المقنع» للداني، والسيوطي من «المصاحف» لابن أبي داود.

وقد بيَّن في مواضع أصل كلام الزركشي من أين هو، نحو ذكره أن فوائد وضع الظاهر موضع المضمر -السبع عشرة-، من كتاب: «نشر العبير في إقامة الظاهر مُقام الضمير» لابن الصائغ الحنفي[١].

(١) انظر توضيح ما مضى في علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٦١-٥٦٣.

-٢-

منهج السيوطي في التعامل مع المصادر

اعتاد السيوطي أن يورد قائمة بأسماء المصادر التي استقى منها معلوماته في عدد من كتبه، وكذلك فعل في مقدمة «الإتقان»، التي سرد فيها (١٥٧) كتاباً، وقسمها إلى عشر مجموعات، راعى في كل مجموعة نوع العلم الذي تنضوي تحته.

ونجده يصرِّح بمنهج علمي -في أكثر من موضع- يُشْعر بأمانة بالغة في طريقة إيراده المعلومة التي يقتبسها، فهو يقول: «ومن بركة العلم وشكره عزوه إلى قائله...، ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء، مبيناً كتابه الذي ذكر فيه»(١).

ولعل هذا المنهج الذي يشير إليه التزمه في بعض كتبه التي لا مجال للقلم فيها، مثل: «الدر المنثور» الذي نقل فيه عن مئة وواحد من العلماء، وبالغ فيه بالتحري من النقل، فنص في مقدمته أنه لم يَرَ سبعة من الكتب التي عزا إليها(٢). أما في «الإتقان» فنراه ينقل بالواسطة، ويذكر بعض الأقوال غُفلاً من غير عزو إلى قائل أو كتاب.

(١) المزهر ٢/٣١٩، ونحوه في مقامة: «ساحب سيف على صاحب حيف»، ضمن شرح المقامات ١/٥٦٢-٥٦٣، و«مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي»، ضمن شرح المقامات ٢/٩٤٩-٩٥٠، ونواهد الأبكار، على ما نقله تلميذه الشاذلي في بهجة العابدين: ١٤٢.

(٢) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦٠١.

وأوضح دليل على هذا أنه -رحمه الله- نقل عن كتاب: «البرهان» للزركشي فيما يزيد على ستين موضعاً، دون أن ينسب الكلام له أو لكتابه، واكتفى بالرمز إلى موضع النقل بعبارة عامة، كقوله: قال بعضهم، وقال غيره، وذكر قوم، واستشكل بعضهم، وقيل، وقال آخرون، وقال العلماء، وقال بعض الأئمة، ونحوها من الألفاظ، وكلّها إطلاقات أراد بها الزركشي.

أما من حيث التصريح بالنقل عنه فقد صرَّح باسم الزركشي -رحمه الله-، أو «البرهان»، أو كليهما معاً في ثلاثة وأربعين موضعاً. وقد ينقل نصاً عن الزركشي ثم لا يعزو إلى المصدر الذي نسبه إليه الزركشي، كنقله عن ابن مالك -مع أن الزركشي نسب قول ابن مالك إلى شرح الكافية-، ونقله عن ابن جني -والزركشي نسبه إلى كتابه: «الخاطريات»-، ونقله عن الجرجاني، والزركشي نسبه إلى الجرجاني في «النظم».

وتارة ينقل عن الزركشي بلا تصريح، نحو ذكره تعريف التفسير، بـ«قال بعضهم» -وهو الزركشي-، ثم ينقل بعد قليل تعريفاً آخر للزركشي ذكره في مقدمة «البرهان»، وينسبه إليه.

وقد يتصرف في نقله عن «البرهان» تارة بالحذف والنقص، وأخرى بالزيادة على ما فيه[١].

---

(١) انظر توضيح ذلك في: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦٠١-٦٠٢، ٦٠٥-٦٠٧.

وقد اتضح أن السيوطي نقل نصوصاً عديدة تربو على المئة بواسطة عدد من الكتب، ومن هذه الكتب الوسيطة:

المرشد الوجيز، النشر لابن الجزري، عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، البرهان للزركشي، مغني اللبيب لابن هشام، فتح الباري لابن حجر[١].

وكان معظم ما ينقله من نصوص العلماء بالمعنى من غير التزام بعبارات المؤلف، فإذا نقل النص بحروفه عقَّب –غالباً– بعده بقوله: «انتهى».

وقد ينقل –أحياناً– بالمعنى فيقع بَتْر في العبارة يغيِّر المراد[٢].

---

(١) انظر شواهد على ذلك في المصدر السابق: ٦٠٢–٦٠٤.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٦٠٤–٦٠٥.

مكانة «الإتقان» بين كتب علوم القرآن

يُعَدُّ كتاب «الإتقان» من الكتب المهمة في مجال الدراسات القرآنية؛ لما اشتمل عليه من عدد وفير من المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم.

وقد جعله السيوطي مقدمة لتفسيره الكبير الموسوم بـ «مجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية»، وعدَّ «الإتقان» من أجلِّ ما وضعه في علوم القرآن[١]، وصنفه على ثمانين باباً من أبواب علوم القرآن، وذكر أن هذه الأبواب على سبيل الإدماج، ولو نُوِّعت باعتبار ما أدمجه فيها لزادت على الثلاثمئة[٢].

لذلك قال خليفة -مبيناً مكانته وقيمته-: «وهو أشبه آثاره وأفيدها»[٣]. وقد تقدمت طباعته فكان من أوائل الكتب التي طبعت في العالم الإسلامي[٤]، فأتيح انتشاره في الأوساط العلمية، وكان هذا عاملاً رئيساً في تعريف أهل العلم بكتاب «البرهان» للزركشي؛ لوفرة ما ينقله عنه، ولتنويهه به في مقدمة «الإتقان».

(١) انظر: قطف الأزهار ١/٩١.

(٢) الإتقان: ١/١٧-١٨.

(٣) كشف الظنون ١/٨.

(٤) أولى طبعاته كانت سنة (١٢٧١هـ) بكلكته في الهند، ويقع في (٩٥٩) صفحة، ومعه شروح للمستشرق النمسوي ألويس سپرنْجَر. انظر: معجم المطبوعات العربية ١/١٠٧٤، الأعلام ٢/٨.

بل إن كثيراً ممن تناول بعض الأبحاث القرآنية قبل عام (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م) - وهي السنة التي طبع فيها «البرهان» أول مرة- لم يعتمدوا في كتاباتهم عليه.

وقد نال كتاب «الإتقان» شهرة جعلت أهل العلم يُثنون عليه:

١- قال أبو بكر المرعشي المعروف بساجَقْلي زاده (ت: ١١٤٥هـ): «وقد جمع السيوطي علوم القرآن في كتابه المسمّى «بالإتقان»، ينبغي لكل عالم أن يستصحبه»[١].

٢- وقال ابن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠هـ) عنه: «فهو كتاب نفيس شريف، وتأليف مركز ظريف، قلَّ أن ينسج أحد على منواله، أو يحذو على مثاله، جمع فيه من علوم القرآن ما لم يُسبق إلى جمعه»[٢].

٣- وعدَّ الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) علوم القرآن اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي التحبير والإتقان[٣].

٤- وعدَّه الأستاذ محمد أبو الفضل (ت: ١٤٠١هـ) الحلقة الذهبية في سلسلة كتب الدراسات القرآنية[٤].

---

(١) ترتيب العلوم: ١٦٧.

(٢) الزيادة والإحسان (خ): ٢/أ.

(٣) انظر: مناهل العرفان ١/٣٢.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق الإتقان ١/٧.

ومع هذه المكانة التي سما إليها «الإتقان» في رحاب الدراسات القرآنية، إلا أنه يعد تلخيصاً محكماً لكتاب: «البرهان» للزركشي بترتيب وزيادات أضافها لم تتوافر عند الزركشي، ومن ذلك زياداته مسائل لم يوردها الزركشي، وبلغت نحو (١٥٠) مسألة[١]؛ لذلك قال خليفة في تعريفه «البرهان»: «والسيوطي أدرجه في إتقانه»[٢].

وليس «البرهان» أول كتاب من كتب الزركشي يسلك معه السيوطي هذا المسلك، بل وجدناه لخص كتابين آخرين للزركشي، هما:

١- «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة»، فلخصه بكتاب سماه: «عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة».

٢- «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» الذي لخصه بكتابه: «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» وزاد عليه[٣].

ولكون «الإتقان» استوعب كتاب: «البرهان» مع زيادات، وتهذيب، وإدماج، فقد غدا مصنفاً مهماً عند العلماء، فاحتفوا به، واتخذ هذا الاهتمام ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: ضمُّ «الإتقان» مع الزيادة عليه، ويمثله كتاب: «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» لابن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠هـ)، وهو مخطوط.

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٥٠٢، ٦٤٩.

(٢) كشف الظنون ١/ ٢٤١.

(٣) انظر علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦١٩-٦٢٠.

الاتجاه الثاني: نحا إلى الاختصار والتهذيب، وتمثل هذا في ثلاثة عشر كتاباً، منها:

١- «مختصر الإتقان» لعبدالرحمن بن إبراهيم الشامي المعروف بابن مزوِّر الدمشقي (ت: ١٠٨٦هـ)، وهو مخطوط.

٢- «مختصر الإتقان» لإسماعيل بن السيد محمد الموصلي (كان حياً سنة ١٢١٦هـ)، وهو مخطوط.

٣- «مختصر الإتقان في علوم القرآن» لصلاح الدين أرقه دان اللبناني، وهو مطبوع.

٤- نظم لمجهول (كان حياً عام ١٠١٣هـ)، وهو مخطوط[١].

الاتجاه الثالث: اتجاه التيمن بالعنوان، ويمثله كتاب: «إتقان البرهان في علوم القرآن» للدكتور فضل حسن عباس، وهو مطبوع.

ومما يدلل على أهمية كتاب: «الإتقان» أنه خرج عن دائرة قراء العربية، فترجم إلى اللغة الفارسية مرتين[٢].

وترجم كذلك إلى اللغة الأردية من قِبَل محمد حليم أنصاري، وصدر في مجلدين عام (١٤٠٢هـ) عن إدارة إسلاميات بلاهور.

---

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦٢٠-٦٢٢.

(٢) المصدر السابق: ٥٩.

أثر «الإتقان» في المؤلَّفات بعده

يُعَدُّ كتاب «الإتقان» أوسع مصنَّف في علوم القرآن منذ بداية التأليف في المباحث الكلية لهذا العلم.

وترجع عناية العلماء به إلى عدة أسباب:

١- سعة مباحثه، وكثرة أنواع علوم القرآن فيه؛ إذ لم يسبقه أحد إلى هذا الجمع.

٢- شهرة السيوطي وكثرة مصنفاته كانت باعثاً لشهرة كتابه.

٣- تأخر طباعة «البرهان» بعد طباعة «الإتقان» بمئة وستة أعوام.

لذلك أصبح مورد الدارسين والكاتبين في هذا الباب من أهل العلم ممن جاء بعده، فإن قيل: إن علماء التفسير عيال على الطبري في «تفسيره»، فإن هذا القول يصدق على من بحث في علوم القرآن، فهو عالة على السيوطي في إتقانه.

وقد قلَّت التآليف في «علوم القرآن» بعد السيوطي قلّة يحسب الراصد لحركتها أنها توقفت أو كادت، إلا من بعض المؤلفات المعدودة ككتاب «الزيادة والإحسان» لابن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠هـ)، وكتاب: «الفوز الكبير في أصول التفسير» لشاه ولي الله الدِّهلوي (ت: ١١٧٦هـ).

ثم ظهرت مؤلفات في نهاية القرن الثالث عشر ومطالع الرابع عشر

الهجريين، نحو كتاب «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن» لطاهر الجزائري (ت: ١٣٣٨هـ)، و«مناهل العرفان» لمحمد بن عبدالعظيم الزُّرقاني (ت: ١٣٦٧هـ). وتلا هذه المؤلفات مجموعة أخرى لثلّة من العلماء كالدكتور محمد أبو شهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، والدكتور صبحي الصالح (ت: ١٤٠٧هـ).

وصُدِّرت بعض التفاسير بمقدمات جامعة حوت طائفة صالحة من علوم القرآن الكريم، من أبرزها:

مقدمة «البحر المديد» لابن عجيبة الفاسي (ت: ١٢٢٤هـ)، ومقدمة «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، ومقدِّمات الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) لتفسيره «التحرير والتنوير». وكل هذه الكتب السالفة أفادت من «الإتقان» إفادة ظاهرة، واعتمدت عليه في تقرير بعض المباحث قلّة أو كثرة، وهذا أمر ملموس لكل من طالع في هذه الكتب[١].

ولم يقتصر تأثير «الإتقان» في مصنفات أهل العلم في إقليم من الأقاليم الإسلامية، بل انتشر في كثير منها كما هو الحال في بعض مصنفات السيوطي الأخرى التي رزقها الله قبولاً بين الناس. وسنشير إلى أثر «الإتقان» في ثلاثة من الكتب؛ لوضوح هذا الأثر فيها، وهي:

١ــ «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» لمحدِّث الحجاز في وقته:

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦٣٥ــ٦٣٨.

محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠هـ).

ضمَّن المؤلف كتابه مئة وأربعة وخمسين نوعاً من علوم القرآن، واعتمد في هذا الجمع على السيوطي اعتماداً كبيراً فقال: «وأودعت فيه جلّ ما في «الإتقان» وزدت عليه قريباً من ضعفه من المسائل الحسان، واخترعت كثيراً من الأنواع اللطيفة والفوائد الشريفة»[١]، وقد كرر فيه معظم ما ذكره السيوطي بنزعة فيها شيء من المغايرة في العرض، وترتيب الأنواع، وتعداد المسائل[٢].

٢- «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لأحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبري زاده (ت: ٩٦٨هـ). وهو من الكتب التي عنيت بتعريف العلوم، وسرد موضوعاتها، وبيان الغاية منها، وإيراد أبرز الكتب المصنفة في كل علم، مع تراجم للمؤلفين.

وقد عمد طاش كبري زاده في كتابه إلى تلخيص «الإتقان» تلخيصاً موجزاً ضمن الشعبة الثامنة -من موضوعات العلوم التي يذكرها-، وهي: في فروع العلوم الشرعية، فسرد مباحث «الإتقان» في المطلب الثالث من هذه الشعبة، وهو: في فروع علم التفسير، فأورد أنواع علوم القرآن الثمانين التي سماها السيوطي، وبنسَق ترتيبها في «الإتقان»، فبدأ بالمكي والمدني، ثم بالحضري والسفري، حتى انتهى إلى النوع

---

(١) الزيادة والإحسان (خ): ٣/أ

(٢) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦٣٨-٦٤٠.

الثمانين: طبقات المفسرين[١]، دون إشارة منه إلى أنه اعتمد على السيوطي في إتقانه، وإن كان قد أشار -في أحايين- إلى أنه أفاد منه. وقد تابع السيوطيَّ في جملة من عباراته بحروفها، وكذلك في إحالاته التي سيتحدث عنها في مباحث آتية، وتابعه -كذلك- في أوهامه وسهوه[٢].

٣- «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان» للشيخ طاهر بن محمد صالح الجزائري الدمشقي (ت: ١٣٣٨هـ).

وهو في عداد مختصرات «الإتقان»، فقد ذيَّل المؤلف عنوانه السالف بقوله: «على طريق الإتقان»، وهي إشارة واضحة منه إلى أنه أراد كتاب السيوطي بهذه الإضافة.

والمتصفح لهذا الكتاب يعلق بذهنه من أول وهلة أن مؤلفه بناه على ما أورده السيوطي في إتقانه، بل هنالك مواضع نقلها الجزائري من «الإتقان» بأخطائها دون الانتباه للصواب فيها.

وقد بحث المؤلف اثني عشر فصلاً في كتابه ضمّنها عدة أنواع من علوم القرآن، انتخبها من «الإتقان»، وأضاف إليها بعض الإضافات لم ترد عند السيوطي[٣].

---

(١) انظر: مفتاح السعادة: ٢/ ٣٤٤-٥٤٧.

(٢) انظر: تفصيل أمثلة ذلك في: الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن للدكتور محمد يوسف شربجي: ٥٩٨-٦٠١.

(٣) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦٤٠-٦٤٢.

المآخذ على كتاب «الإتقان»

لا يسلم جهد بشري من خلل أو قصور في جانب من جوانبه، ويكون احتمال الخطأ أكثر إذا اتسع الموضوع المتحدَّث عنه وتفرعت مباحثه.

وقد وُجِدَتْ بعض الملحوظات على كتاب السيوطي -رحمه الله رحمة واسعة- لا تحط من قدره، ولا تنقص منزلته بين الكتب المؤلفة في علوم القرآن.

وسنورد هذه الملحوظات على طريقة التَّعداد السَّرْدي لها، دون الخوض في تفاصيلها وجزئياتها، ومن أراد الوقوف عليها، أمكنه أن يعود إليها في مظانها من الكتاب، ويتملَّى ما كُتب عليها من تعليق.

١- حاد السيوطي في عدد من المسائل عن اعتقاد السلف الصالح، وجانب فيها الصواب. وقد ألحقنا فهرساً بالمسائل العقدية التي تعقبنا السيوطي فيها.

٢- أورد عدداً من الروايات الواهية، والآثار التي لا تصح ساكتاً عنها، وكان بمكنته أن يحكم عليها؛ لما له من دراية بعلم الحديث، أو أن ينقل كلام النقاد فيها على أقل تقدير. وقد قمنا بدراسة هذه الروايات والآثار دراسة حديثية، وبيّنا درجتها، ونقلنا كلام النقاد عليها.

٣- توسع -رحمه الله- في إيراد بعض الإسرائيليات، وبخاصة في مبحث المبهمات، وأكثر من ذكر تفاصيل وجزئيات لا طائل تحتها، ولا

يترتب على معرفتها كبير فائدة، بل هي في بعضها أقرب إلى مجانبة فهم مقاصد القرآن العظيم وهداياته.

٤- ذكر أموراً هي من قبيل الجمع للأقوال دون تحقيق، كإيراده أن إسرافيل قُرِن بنبوة النبي ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، وهو معارض لحديث بدء الوحي الثابت في صحيح البخاري. وكنقله عن الكرماني أن القرآن نزل مرة بالمعنى، ومرَّة باللفظ والمعنى(١).

٥- أورد بعض الأمور الخاطئة والمنقوضة شرعاً، كنقله أن إلياس عليه السلام عُمِّر كما عُمِّر الخضر، وأنه يبقى إلى آخر الدنيا، ونقله أن ذا الكفل لم يكن نبياً(٢).

٦- يلحظ على السيوطي -رحمه الله- التناقض في بعض المسائل التي يبحثها؛ بحيث يقرر فيها أمراً ثم يعود في موضع آخر فيناقض ما ذكره في الموضع الأول.

من ذلك: نقده ابن الجوزي لاشتغاله بعَدِّ أنصاف القرآن وأعشاره وأثلاثه ونحو ذلك من المعلومات التي رآها تافهة، ثم نراه يذكر ما هو أبعد من ذلك، وهو بعض الأحاجي والألغاز(٣).

٧- ترك ترتيب بعض الأنواع ترتيباً منسقاً متناسباً، فقد فرَّق الكلام

(١) انظر بعض الأمثلة في علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٦٣١-٦٣٢.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٤٦٩، ٤٧١، ٦٣١.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٦٣٢، ولمزيد من الأمثلة راجع المصدر السابق: ١٨٧، ٢١٦، ٤١١، ٤٤٤، ٤٧١، ٦٣٣.

على « أساليب القرآن » ضمن عدة مباحث، ولم يسلكها في مبحث منضبط، وهناك نوع من الاضطراب في عرض نوع مناسبة الآيات والسور[١].

٨- أوتي السيوطي ملكة وقادة، وحفظاً واسعاً، ورزق التبحر في عدة علوم، ثم تراه يترك الترجيح في بعض المسائل، مثل: المحكم والمتشابه، وتحديد سور المفصّل.

٩- ترك إيراد تعاريف بعض أنواع علوم القرآن التي عقدها في كتابه، نحو: ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً، ومفردات القرآن، وهي مباحث تحتاج إلى توضيح وبيان للمراد منها بتعاريف جامعة لمباحثها التي تندرج تحتها؛ لأن هذه التعاريف فيها فائدة جليلة تطلع القارئ على مدلول النوع المتحدَّث عنه.

١٠- أورد -رحمه الله- أقوالاً مردودة في التفسير وعلوم القرآن: كذكره أن ﴿ تَقِيًّا ﴾ من قوله تعالى ﴿ ... إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[٢] رجل من أمثل الناس.

وأن ﴿ ٱلرَّشَادِ ﴾ من قوله تعالى ﴿ ... أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[٣] صنم من أصنام فرعون.

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٣٥١، ٦٣٣.

(٢) الآية: ١٨ من سورة مريم.

(٣) الآية: ٣٨ من سورة غافر.

وكإيراده طريقة تنزيل القرآن إما بأن النبي ﷺ انسلخ من صورته البشرية إلى صورة ملائكية وأخذ القرآن عن جبريل، أو العكس.

١١- يؤخذ عليه -رحمه الله- أنه أورد معلومات عديدة دون عزو لأصحابها، مثل نقله عن ابن عطية، وابن أبي الإصبع، وأبي شامة، وأبي حيان، وابن هشام، وبهاء الدين السبكي، وابن الجزري، وابن حجر، وبرهان الدين البقاعي.

١٢- وقعت له أوهام في بعض المسائل كذكره أن عثمان بن مظعون حكي عنه أنه كان يقول: الخمر مباحة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ...﴾(١).

١٣- لم يحرر السيوطي النوع التاسع والستين، وهو: فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب، وعرضه على نحو ما يرد في كتب التواريخ، والسيرة، والحيوان، والنوادر، وفيه مسائل لا دليل عليها، وحمل لنصوص من القرآن على غير مرادها من اللغة والسياق.

فَسَوْقُه لأمور لم تصح شرعاً، ولم تنقل تاريخياً بنقل يُطمأن إليه يشين الكتاب، ولا سيّما أن جملة منها منقولة عن كعب الأحبار ووهب ابن منبِّه، والثعلبي صاحب الغرائب والعجائب في كتابه: «عرائس المجالس».

---

(١) الآية: ٩٣ من سورة المائدة. وانظر مزيداً من الأمثلة في علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ١٣٥، ١٨٥، ٢١٩، ٣٧٩.

كذلك لم يحرر القول في بعض السور والآيات المختلف في مكيتها أو مدنيتها في النوع الأول: معرفة المكي والمدني.

وكذلك النوع الخامس عشر: ما أُنزل منه «أي: القرآن» على بعض الأنبياء وما لم يُنزَل منه على أحد قبل النبي ﷺ، يحتاج إلى تحرير وتثبت في إيراد النصوص من الأحاديث والآثار.

١٤- عُرِف السيوطي -رحمه الله- بحبه الاستقصاء والاستقراء، لكنه قد يورد أموراً لا استقراء فيها، كذكره أن في القرآن من أسماء الأقوام بالإضافة ستة أقوام، مع أن القرآن الكريم حوى أزيد من هذا العدد[١].

(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان: ٤٧٠.

طبعات «الإتقان»

يعد كتاب «الإتقان» من أوائل الكتب المطبوعة في المطبعة العربية، فقد أربت طباعته على اثنتي عشرة مرة، وسنسرد طبعاته مرتبة وفق سني طباعتها، دون المصورات التي أخذت عن الطبعات الأصلية، أو الطبعات المكررة[١]:

١- طبعة المطبعة المعمدانية في كلكتة بالهند، وتقع في عشرة أجزاء في مجلد واحد، في (٩٥٩) صفحة، وعليها شروح للمستشرق النمساوي ألْوِيس سپَرنْجَر (ت: ١٣١٠هـ)، وطبعت سنة (١٢٧١هـ).

٢- القاهرة: مطبعة عثمان عبدالرازق سنة (١٢٧٩هـ).

٣- القاهرة: المطبعة الموسوية سنة (١٢٨٧هـ) بتصحيح الشيخ حسن العدوي الحمزاوي.

وجمع تصويباتها الشيخ نصر الهوريني بعد مقابلته النسخة المطبوعة على نسخة قلمية، وطبعت ملحقة بالطبعة الكاستلية.

٤- الطبعة الميمنية عام (١٣١٧هـ) في القاهرة.

٥- الطبعة الأزهرية عام (١٣١٧هـ) في القاهرة.

٦- طبعة مكتبة محمود توفيق بمطبعة حجازي بالقاهرة عام (١٣٦٠هـ) بتصحيح عبد رب النبي سعيد الحسيني.

---

(١) انظر: معجم المطبوعات العربية ١ / ١٠٧٤، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع: ٣ / ٢٧٣-٢٧٤.

٧- طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمطبعة حجازي بالقاهرة عام (١٣٦٨هـ)، بتصحيح عبدالواحد محمد.

٨- طبعة شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة عام (١٣٧٠هـ)، بتصحيح لجنة من العلماء برئاسة أحمد سعد علي، وبحاشيته إعجاز القرآن للباقلاني.

٩- طبعة مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة عام (١٣٨٧هـ) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٠- طبعة دار إحياء العلوم ببيروت، ومكتبة المعارف بالرياض عام (١٤٠٧هـ) بتقديم وتعليق: محمد شريف سكر ومصطفى القصاص.

١١- طبعة دار ابن كثير بدمشق عام (١٤٠٧هـ) بتعليق الدكتور مصطفى ديب البُغا.

١٢- طبعة دار الكتاب العربي ببيروت عام (١٤١٩هـ)، حققها وعلَّق عليها وخرَّج أحاديثها فوَّاز أحمد زَمَرْلي.

* * *

وكل هذه الطبعات انتابها قصور، وأخطاء؛ لذا رأت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلة بالأمانة العامة للمجمع أن يعاد تحقيق كتاب «الإتقان» وَفْق الأصول العلمية وأسندت هذا المهمة إلى مركز الدراسات القرآنية التابع لإدارة الشؤون العلمية، فقام بهذا العمل الجليل.

وقد امتازت طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عن سابقاتها بإقامة نص الكتاب قريباً مما يريده مؤلّفه، ومقابلته على عدد وفير من النسخ؛ كي يُتلافى ما وقع في مطبوعاته السابقة من سقط، وتحريف، وأغلاط، وخلل في الترتيب. وكذلك لم تنل النصوص الغزيرة التي حفل بها «الإتقان» الخدمة اللازمة من حيث التوثيق، والنظر العلمي الذي يمحصها ويقومها، كما أن جلَّ الأوهام التي وقع فيها السيوطي -رحمه الله- بقيت على ما هي عليه -في الغالب- فلم تخضع للتصويب، هذا بالإضافة إلى أهمية اعتماد منهج واضح في تحقيق الكتاب، وبخاصة تخريج الأحاديث والآثار التي أوردها السيوطي وبيان درجتها.

وتمّ تقديم نص الكتاب مضبوطاً بالشكل، وخدمته بالعديد من الفهارس التفصيلية التي تقرِّب على القارئ بغيته.

ونرجو أن نكون قد أضفنا إلى المكتبة القرآنية -بهذا التحقيق- سفراً جليلاً له مكانته بين كتب علوم القرآن الكريم.

ج- منهج التحقيق

تبيَّن لنا من خلال التعريف بكتاب «الإتقان» أهميتُه، وسيرورته لدى الباحثين المهتمين بعلوم القرآن، وقد كان هذا حافزاً لنا على بذل الجهد في خدمته وتحقيقه تحقيقاً علمياً، وَفْق الأصول المعتمدة لدى المحققين.

عَدَدْنا نسخة (أ) أمّاً، للمسوِّغات التي سنذكرها في فقرة «وصف النسخ المخطوطة»، وأثبَتْنا في الحاشية الاختلافات المهمة التي وقَفْنا عليها، لدى معارضتها بباقي النسخ. ولم نشأ إثبات الاختلافات التي هي من قبيل أخطاء النُّسَّاخ؛ إذ لا طائل من وراء إثباتها، من مثل أخطائهم في كتابة الأعلام، أو السقط أو التكرار، فليس من المفيد للباحث أن ينقل بصره، ويقطع متابعته من أجل أن ينظر في حاشية لا تُقَدِّم إضاءة ما للنص، بل تؤخره؛ لأنها أقرب إلى جهل النساخ في الاهتداء إلى مقصود النص.

ومِمَّا دعانا إلى الانتخاب من الاختلافات الواردة بين النسخ المخطوطة كونُ هذه النسخ التي بين أيدينا كثيرة، فإثبات جميع اختلافاتها سوف يجعل حواشي الكتاب مشحونةً بها، فيتضخم الكتابُ مِنْ غير جدوى. بيدَ أننا حَرَصْنا على إثبات ما كان له أي وجه محتمل من اختلافات النسخ، فقد يكون لِما أثبَتْناه في الحاشية وجه قوي يستحق أن يَرْقى به إلى المتن.

وإذا كنا قد أثبتنا ما في نسخة (أ) فإننا في أحيان نُفَضِّل ما في النسخ الأخرى على نسخة (أ)، مع كونها هي النسخة الأُم، ولا سيما إذا أكَّد

هذا الاختيارَ المراجعُ العلمية التي كان السيوطي يستقي مسائله منها، أو كان سياق العبارة يستلزم ذلك. وقد شجعنا على تقديم نص هذه النسخ على (أ) أحياناً كونُها عالية القيمة، كما هو ظاهر من وَصْفها.

وإذا أجمعت النسخ كلها على لفظة، ورأينا غيرها أصوب منها، أبْقَيْنا على ما في النسخ، وأثبتنا ما نراه في الحاشية، مع التدليل على وجهة نظرنا، إلا إذا كان ما أثْبَتَتْه هذه النسخ، خطأ صريحاً في لفظ آية قرآنية، أو كان الخطأ في غير الآيات من قبيل الحكم القطعي في تخطئته.

وأثبَتْنا في الحواشي كل ما ورد في متن نسخة (أ) أو حاشيتها بخط مغاير لخط ناسخها، وقد يكون هذا الخط المغاير بيد مالك النسخة، أو من مُراجعٍ لها مجهول، وقد ناقشنا بعض هذه الحواشي.

وغرضنا من ذلك المحافظة على نسخة الأُمّ والاعتداد بما جاء فيها.

وقد وضَعْنا الزيادات التي جاءت بها النسخ الأخرى، وليست في نسخة (أ) بين معقوفين، وهي زيادات نادرة.

* * *

وأمَّا في مجال خدمة النص: فقد اتَّبَعْنا منهجاً وسطاً بين الإفاضة في التعليقات والإيجاز؛ لكيلا نُطيل، فنبتعد عن غرض تحقيق النصوص، وتقديمها كما يريد مؤلف الكتاب، ولكننا في الوقت نفسه أرَدْنا تمحيص هذه العلوم والنقول والآثار التي حَفَل بها كتاب «الإتقان»؛ ليتعامل

الباحثون مع الكتاب على بصيرة ومعرفة، كما أن التعليقات اليسيرة على النص سوف تحرم الباحثين من خير كثير وفَّقَنا الله سبحانه إليه.

وقد سِرْنا في منهج خدمة النص وَفْقَ المعالم التالية:

١- عَرَّفْنا بمظانِّ كل نوع من الأنواع التي بنى السيوطي عليها إتقانَه، من كتب علوم القرآن التي تقدَّمَتْه، وذلك في مطلع عنوان كل نوع. وغرضُنا من ذلك بيان الموارد التي تفيد القارئ في تحرير النوع المتحدَّث عنه.

كما عرَّفْنا بمظانِّ المسائل العلمية التي عُني السيوطي بجمعها وتحريرها.

وحَرَصنا على أن تكون هذه المظانُّ من المصادر الأصيلة المعتمدة عند أهل الفن. والغرض من ذلك كلِّه أن يكون المُراجِعُ على صلةٍ بهذه المظان إنْ أرادَ أن يعود إليها لغرض التحقيق والإفادة.

٢- قمنا بعَزْوِ الآيات الواردة في النص إلى سورها من القرآن الكريم، وذكرْنا رقم الآية إلى جانب اسم السورة، وأثبَتْنا ذلك في متن النص، وجعَلْناه بين معقوفين. فإذا ذكر السيوطي اسم السورة اكتفينا برقم الآية. واضْطُرِرنا إلى تصحيح بعض الآيات التي أوردَتْها جميع النسخ على خلاف ما في المصحف سهواً، وقد أورَدْنا هذه الآيات بالرسم العثماني على وفَقْ مصحف المدينة النبوية، برواية حفص عن عاصم.

وقد يستشهد السيوطي برواية معينة من القراءات: فإن كانت موافقة لرواية الدوري أو ورش، أثبتناها على وَفْق مصحفيهما المطبوعين في المجمع. وإن كانت موافقة لغيرهما من القراءات المتواترة أو الشاذة، أثبتناها بالرسم الإملائي المشهور.

وأبقينا عزو الآيات في جميع ذلك وَفْق العدد الكوفي، الموافق لمصحف حفص عن عاصم؛ لأن القصد بيان موضع الشاهد من الآية، وليس ذكر خلاف علماء العدد في الآيات.

٣- وثَّقْنا القراءات القرآنية المتواترة والشاذة التي وردت في نص الإتقان، وتتبَّعْنا مواردها الأصلية للوقوف على ضبطها، وبيان القَرَأة الذين قرؤوا بها، ثم نصصنا على هذه المظانّ ليكون القارئ قريباً منها.

٤- في الحديث الشريف: قمنا بتخريج الأحاديث والآثار والمقاطيع تخريجاً علمياً وَفْق الأصول المتبعة عند أهل الفن -وقد بلغ مجموعها (١٧٩٠) حديثاً وأثراً ومقطوعاً- حسب المنهج الآتي:

أ- أمّا ما يخصُّ أحاديث الصحيحين وآثارهما، فتمَّ الاكتفاء بعزو الحديث أو الأثر إليهما، أو إلى أحدهما إذا انفرد واحد منهما، وذلك بذكر الجزء والصفحة وعنوان الكتاب والباب ورقم الحديث أو الأثر.

ب- وأمّا إذا كان الحديث أو الأثر أو المقطوع في غير الصحيحين أو أحدهما فقد تَمَّ تخريجُه أوَّلاً من المصدر الذي عزاه إليه السيوطي بالتفصيل المذكور في فقرة (أ).

ثم درسنا الإسناد من حيث أحوال رواته واتصاله أو انقطاعه. ولا شك أنّ هذه المرحلة من أصعب مراحل التخريج ولا سيَّما في رجال غير الكتب الستة، وبالأخص رجال ابن عساكر والبيهقي والحاكم والدارقطني والطبراني وأمثالهم، وقد أكثر المصنف النقل عنهم، وبخاصة عن البيهقي

والحاكم والطبراني، وقد يتجاوز عدد الرواة للحديث الواحد سبعة أو ثمانية أحياناً، فيلزم البحث عن كل واحد منهم، وذلك للتأكد من سماع الرواة بعضهم من بعض، واتصال الإسناد ومعرفة أحوال الرواة من حيث التعديل والتجريح، وكل ذلك للوصول إلى معرفة درجة الحديث أو الأثر والحكم على الإسناد، تصحيحاً وتضعيفاً، ولا نتوسع في الغالب إن سُبقنا إلى بيان درجته من قِبل أحد من أهل الاختصاص في هذا الشأن.

وقمنا بمزيد من التخريج للحديث أو الأثر حسب ما يقتضيه المقام؛ وذلك لتقوية الإسناد أو المتن، أو لرفع شبهة تدليس مُدلِّس بمجيئه من طريق أخرى مصرحاً فيه بالسماع أو التحديث، أو لبيان علة من العلل.

ج- خَرَّجْنا الحديث أو الأثر أو المقطوع من بعض أمّات كتب السنة المشهورة عند عدم عزو السيوطي له، مع دراسة الإسناد والحكم عليه إذا كان من غير الصحيحين، وبدون توسع إذا وقفنا على بيان درجته لأحد من العلماء المختصين في هذا الشأن.

د- وأمّا عند عزو السيوطيّ الحديث أو الأثر أو المقطوع إلى كتاب مفقود فقد سعينا إلى تخريجه من مصدر وسيط نقله عن هذا الكتاب، وإلا فعن أيّ مصدر آخر تيسَّر لنا تخريجه منه خرَّجناه، ثم درسنا إسناده -إن ذُكر إسناده- وحكمنا عليه على ضوء ما توصلنا إليه بعد دراسة الإسناد والمتن، وبدون توسع -في الغالب- إنْ سُبِقْنا إلى الحكم عليه.

هـ – التنبيه على بعض الأمور المهمة وبعض الأوهام التي وقع فيها المصنف –رحمه الله تعالى– حسب التفصيل الآتي:

– نَبَّهنا في الغالب على ما يختصره السيوطيّ من الأحاديث والآثار، أو يكتفي بذكر طرف منها، أو ينقلها بالتصرف. وهذا حصل منه في مواضع كثيرة.

– قد يسوق المتن من مصدر لم يذكره، ويحصل هذا في الغالب فيما يضيف مع المصدر المذكور باسمه لفظة «وغيره»، مثلاً يقول السيوطي: أخرج الحاكم وغيره. فالمتبادر إلى الذهن أن اللفظ للحاكم الذي سبق ذكره، بينما اللفظ لغيره ومختلف عمّا ذكره.

– قد يعزو الحديث أحياناً كثيرة إلى عدد من المصادر بدون أن يُبيّن أن اللفظ الذي ساقه لمن سمَّاهم، وكان يلزمه أن يُبيِّن ذلك، وقد نبهنا على ذلك في الغالب.

– قد يعدل المصنف –رحمه الله تعالى– عن عزو الحديث أو الأثر للصحيحين أو لغيرهما من الكتب المشهورة ويعزو إلى مصادر أخرى؛ لزيادةٍ تكون محل الشاهد عنده، وليست في الصحيحين أو في الكتب المشهورة، وقد نبهنا على ذلك في مواضعه من تعليقاتنا في التخريج، وغالب هذه الزيادات لا تَصِحُّ، ويُعْرَفُ ذلك من خلال الحكم عليها.

– نَبَّهنا في مواضع عديدة على ما يعزوه المصنف من حديث أو أثر

لمصادر لم نجده فيها، ويتبين بعد البحث أنه في غيرها ويؤكد ذلك أن المؤلف في «الدرّ المنثور» لم يَعْزهُ إلى المصدر الذي عزاه إليه في «الإتقان».

– قد يعزو الحديث أو الأثر أحياناً إلى غير الصحيحين بينما هو فيهما، أو في أحدهما بلفظه أو بمعناه، وقد تم التنبيه على ذلك في التخريج في مواضعه.

و– تَعَقَّبْنا المصنف –رحمه الله تعالى– في تصحيحه لبعض الأحاديث والآثار، وذلك من خلال الدراسة الدقيقة لأحوال الرواة والإسناد، أو من خلال إيراد أقوال الأئمة في بيان درجة الحديث والإسناد.

ز– استعملنا بعض الرموز في أثناء التخريج للاختصار، وكذا في أسماء المصادر للغرض نفسه، وهي على النحو التالي:

اختصرنا «كتاب» بـ(ك)، و«الباب» بـ(ب)، و«الحديث» أو «الأثر» بـ(ح)، و«فتح الباري» للحافظ ابن حجر بـ(الفتح)، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي بـ(المجمع)، و«تقريب التهذيب» بـ(التقريب)، و«تهذيب التهذيب» بـ(التهذيب)، كلاهما للحافظ ابن حجر، و«سير أعلام النبلاء» بـ(السير) للذهبي.

وجرينا على اختصار بعض المصادر سوى ما ذكر، مثل كتب التفسير وغيرها، وقد وَفَّقَنا الله تعالى بفضله إلى تخريج الأحاديث والآثار والمقطوعات من مصادرها التي عزاها المصنف إليها، إلا في مواضع يسيرة جداً لم نتمكن من الوقوف عليها بعد البحث والتقصي، فاجتهدنا في

تخريجها من غيرها من المصادر، وربما لم نقف عليها في أي مصدر من المصادر المتوافرة بعد البحث، وهذا نادر جداً.

٥- بذلنا الجهد في ضبط النص ولا سيما مشكله وأواخر كلماته، وعُدْنا إلى أُمَّات كتب اللغة للوصول إلى هذا الضبط، واخترنا أفصح اللغات، وأشهر المذاهب في ضبط كثير من المفردات. وقد كان ناسخ (أ) يضبط بعض الألفاظ ضبطاً لا نرى مُسَوِّغاً له، فكنا نتجاوزه إلى الضبط الصحيح الذي يقتضيه السياق، أو تنصُّ عليه كتب اللغة، أو الأنساب، أو الرجال، أو معاجم البلدان، والقبائل.

٦- حَرَصْنا على تيسير فهم النص وإدراك مراميه بشرح ألفاظه الغريبة وبيان مقاصده، وإعادة الضمير إلى ماهو له، وتفسير الغامض من جمله وأساليبه ومختصراته، وربط الكلام بعضه ببعض. بيد أننا لم نتدخل بوضع عناوين جانبية للنص -كما يصنع بعض المحققين- لاعتقادنا بضرورة المحافظة على نصوص تراثنا، كما وضعها مؤلِّفوها.

٧- بنى السيوطيُّ جُلَّ كتابه «الإتقان» على طائفة غزيرة من النقولات المستقاة من كتب سبقته في شتى العلوم والفنون. وكان من منهجه أحياناً أن يُصَرِّح باسم الكتاب الذي نقل منه، فكنا نعود إليه لنوثق النص ونطابقه، ونثبت ما اقتبسه منه بين علامتي تنصيص، سواء كان النقل بالنص أو بالمعنى.

وقد لا يُصَرِّح باسم الكتاب، ولكنه يُصَرِّح باسم العَلَمَ الذي نَسَب إليه

النص، فكنا نجتهد في معرفة الكتاب الذي نقل منه، من مجموع كتبه المطبوعة أو المخطوطة، لنقف على النص ونوثِّقه.

غير أنَّ السيوطي كان كثيراً ما يغفل اسم العَلَم أو اسم كتابه، فيقول مثلاً: "وقال غيره"، "وقال آخرون" أو تراه يحرر المسألة بما يُوهم أنها من إنشائه وصياغته، ولكنه كان في حقيقة الأمر ينقلها نصاً أو معنى عن غيره، فكنا نُجْلي حقيقة الأمر في الحاشية، ونُرجع النصوص إلى أصحابها إن تيسر لنا ذلك.

وكان من منهجنا في هذا التخريج والتوثيق والمعارضة ألا نشير إلى الاختلاف بين نص السيوطي، ونص المصدر الأصل، لأن السيوطي غلب عليه في كثير من النصوص المقتبسة ألا يتقيد بنصها. أما إذا كان ثمة اختلاف ذو بال في تقرير المعنى الذي يريده صاحب المصدر، فقد نصصنا على ذلك في الحاشية. وقد تبين لنا أن صاحب «الإتقان» وقع في أوهام تعود إلى تَصَرُّفه في عبارة من ينقل عنه، وقد يورد النص مبتوراً، فلا يُفهم إلا بإكمال مفرداته وإتمام بعض جمله، وقد يُحيل على إحالات تائهة أو غامضة، تعود إلى أنه تعجَّل في فَهْم مقصد صاحب النص، وقد يختصر النصوص المقتبسة، مما يؤدي إلى خلل فيها أو اضطراب يعتريها، فاجتهدنا في إصلاح ما فاته من تحرير تلك النصوص ومطالعة أصولها على نحو يناسب المسألة العلمية الجارية.

كما تبيَّن لنا أن السيوطي كان يقتبس كثيراً من النصوص عن طريق

« البرهان » للزركشي فيقع في أوهام، من جرَّاء تصرفه في النقل عن هذا المصدر الوسيط، فوقفنا على مواردها الأصلية لمعرفة مقاصد أصحابها، وقمنا بمطابقتها لنكشف عن مواضع النقص والخلل. ومن هنا جاء تحقيقنا للإتقان متميزاً بالوصول إلى جُلّ موارد السيوطي ومعارضة نصوص « الإتقان » بهذه الموارد، وقد نصصنا على مواضع الاختلافات المهمة؛ ليقف القارئ بنفسه على ما حصل من تصرف وتغيير.

٨– تجاوز عدد الأعلام الذين ترجمنا لهم في « الإتقان » أكثر من ألف علم، إذ قمنا بتعريف موجز بكل علم، من حيث بيان اسمه، واسم أبيه، وكنيته، ولقبه، وشهرة العِلْم الذي برز فيه وتاريخ وفاته، وأهم مصنفاته وعُنينا بضبطه.

فإذا ذُكر أحد عناصر الترجمة في نص « الإتقان » لم نُعِدْه في التعريف التزاماً منَّا بالإيجاز، إلا إذا ذُكر اسم العَلَم مع جدِّه، فيُعاد لبيان الأب. ولم نترجم للأعلام المذكورين في ثنايا الرواية أو الإسناد، ولم نترجم للشعراء الذين أورد السيوطي لهم شواهد في الكتاب. وقد صححنا طائفة من الأعلام الذين وردت أسماؤهم خطأ أو سهواً، مثبتين ذلك التصحيح في الحاشية. ثم ذيَّلْنا الترجمة الموجزة ببيان المظان التي عُدْنا إليها. وكان هذا التعريف بالعَلَم في أول ورود اسمه في نصوص الكتاب، فإذا ورد بعد ذلك، ورغب الباحث في الوصول إلى ترجمته، استعان بفهرس الأعلام لمعرفة مكان وروده.

٩- عـرَّفنا بكل كـتـاب مما لم يتم التـوثيق منه، من الكتب التي ورد ذكرها في «الإتقان» في أول موضع، من حيث عنوانها الصحيح، وضبط هذا العنوان، وذِكْرُ صاحب الكتاب، إن أغفله السيوطي. وقد بلغ عدد هذه الكتب قرابة ثلاثمئة كتاب. وقد بذلنا الجهد في تحقيق نسبة طائفة من الكتب التي أوردها غيرَ مَعْزُوَّة، أو نُسبت إلى غير أصحابها، وأشرنا إلى الكتاب إنْ كان مخطوطاً أو مطبوعاً حسب عِلْمِنا في ذلك. وذيَّلْنا هذا التعريف بالمظان التي عُدْنا إليها. وسوف نسرد الكتب التي تم التوثيق منها ضمن كشاف المراجع آخر الكتاب.

١٠- عَرَّفْنا بما يَحْتاج إلى تعريف من الأماكن والبقاع والقبائل التي وردت في النص تعريفاً موجزاً يُعنى بضبطها، وذيَّلنا هذا التعريف بالمظان التي رجعنا إليها في هذا التعريف.

١١- اجتهدنا في تحرير النصوص الفقهية ومسائل أصول الفقه، وسعينا في توثيقها من أُمَّات المصادر العلمية في هذا الحقل.

١٢- كما قمنا بتخريج المسائل النحوية والبلاغية، وتقويم ما أَورده السيوطي حولها، في ضوء المصادر الأصلية التي عدنا إليها، وكشفنا عن الأوهام التي وقعت في عبارة السيوطي، مِنْ جَرَّاء نَقْله عن غيره، وكونه لم يَعُدْ إلى كتب الأعلام الذين ينقل عنهم.

١٣- قمنا بخدمة النصوص الشعرية التي أوردها السيوطي من خلال إقامة وزنها العروضي وضبطها، وتكملة البيت إن أورده ناقصاً، وتعيين اسم

قائله إن اهتدينا إليه، ووثَّقناه من ديوان صاحبه، إن كان له ديوان مطبوع، فإن لم يكن له ديوان وثَّقناه من بعض المظانِّ التي أوردته. وشرحنا الألفاظ الغريبة في البيت، وقد نزيد على ذلك ببيان المعنى الإجمالي له، إن احتاج إلى ذلك.

وقد قمنا بإصلاح الوزن العروضي لبعض الأبيات التي أوردها السيوطي على غير صواب، واتفقت جميع النسخ على هذا الخلل، فصوَّبْنا البيت وفق مراجعه، وأشرنا إلى الأصل في الحاشية.

١٤- كان النوع السادس والثلاثون في غريب القرآن ذا طبيعة خاصة، فاحتاج إلى تناول من نوع معين، فقد أورد المؤلف فيه مئات الآثار عن ابن عباس، والتزم ذكرها بأسانيد حددها في ديباجة تقديمه، فإن التزم بها قلنا: أخرجه فلان بسنده، وإن خالف بيَّنَّا ذلك بإيراد الإسناد المخالف.

وتمت المقارنة أيضاً بين المتون التي يوردها والمتون التي نجدها في المصادر التي التزم النقل منها، فإن كانت متفقة أشرنا إلى ذلك بقولنا:

أخرجه فلان بمتنه، وإن كان ثمة اختلاف يؤثر، ألمحنا إليه.

ومهما وجدنا أوهاماً في نسبة الأقوال إلى مخرجيها فإننا نقوم بعزو الأثر إلى من أخرجه، واستغنينا بذلك عن التصريح بالوهم الذي وقع فيه المؤلف. ولم نغفل عرض المتون المشكلة على كتب اللغة والغريب وتدوين خلاصة ذلك في الحاشية.

١٥- كتبنا النص المحقق وفق الرسم الإملائي الحديث من حيث همزاته وألفاته، وما يتعلق بحروف الكلمة الأخرى، ولم نشأ بيان اختلاف طريقة الرسم عما في الأصول الخطية؛ لأننا لم نر فائدة من شحن الحواشي بما لا طائل من ورائه.

وقد أثبتنا علامات الترقيم المناسبة من نقاط وفواصل وعلامات اعتراض وأقواس وعلامات تنصيص واستفهام وتعجب...، كما حرصنا على البدء بسطر جديد إن شرع المؤلف في بيان فقرة جديدة؛ وذلك كله لتيسير فهم النص على نحو مريح، لمتابعة السياق والوقوف على مقاصده.

١٦- وفي نهاية المطاف صنعنا فهارس علمية تفصيلية لتكون بمنزلة المفاتيح التي تجعل ثماره دانية من الباحثين، وقد قمنا بإعداد الفهارس التالية:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الرواة المترجم لهم في تخريج الأحاديث والآثار.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس الكتب.

٦- فهرس المسائل العقدية.

٧- فهرس الأبيات الشعرية.

٨- فهرس الموضوعات.

٩- ثبت المصادر والمراجع.

١٠- فهرس الفهارس.

د - وصف النسخ المخطوطة

بتوفيقٍ من الله عز وجل، وقَفْنا على النسخ المخطوطة التالية، لكتاب «الإتقان»:

١ - نسخة الأصل (أ)

وهي نسخة نفيسة، تحتفظ بها المكتبة الآصفيَّة بحيدراباد في الهند، برقم (١٦٣) تفسير. وناسخها جَرامُرْد الناصريُّ الحنفيُّ المقرئ. وقد أثنى عليه السيوطيُّ في إجازته له آخر النسخة فقال: «الفاضل المتقِن المشتغل المحصِّل الضابط، نادرة أبناء جنسه». ويبدو أن الناسخ المذكور لم يكن محترفاً يتكسَّبُ بهذه المهنة، وإنما كتب النسخة لنفسه.

لم يُسَجِّل الناصريُّ تاريخَ نَسخه لهذه النسخة، إلا أن إجازة السيوطيِّ له كتبها في ذي القعدة من سنة ٨٨٣هـ، وعلى هذا فإن هذه النسخة كُتِبت في حياة السيوطي في هذه السنة أو قبلها، وكُتب في الإجازة: «فقد سمع عليَّ جميعَ هذا الكتاب تأليفي صاحبه وكاتبه الفاضل المتقن...».

وهذه النسخة مصححة ومقروءة على المؤلف، قرأها عليه تلميذه الناسخ المذكور في تسعة وستين مجلساً، وقد وردت عبارة تفيد ذلك، على حاشية النسخة، بعد كلِّ مجلس. وأغلب الظن أن هذه العبارة بخط السيوطيِّ نفسه في الكتاب كله، ونصُّ العبارة بعد المجلس الأول

ص (١٦) : « الحمد لله، بلغ الجناب العالي، الفاضل سيدي جرامرد الناصري، نفعه الله سماعاً عليَّ... مؤلفه، عفا الله عنه... » ومكان النقط كلمتان لم نتبيَّنْ قراءتهما، ولعل الكلمة الأولى قبل « مؤلفه » : « نسخة »، ويستأنس بما جاء في ص (٣٤٨) . أمَّا الكلمة الثانية في العبارة فلعلها رمزٌ لانتهاء الكتابة في هذا الموضع، ولم تَرِدْ في إجازة السيوطي آخر النسخة .

والعبارة المذكورة قد تختلف من مكان إلى آخر، إذ جاءت بعد المجلس الثاني كما يلي : « الحمد لله، ثم بلغ سماعاً عليَّ... مؤلفه عفا الله عنه.. » . وقد بدأ يكتب بعد الصفحة (١٥٨) زيادة « نفعه الله » بعد قوله : « بلغ »، وتتنوع كذلك الجملة الأخيرة، مثل : غفر الله له، ختم الله له بخير، لطف الله به » وجملة « نفعه الله » جاءت متأخرة ص (٣٩١) وفيها : « الحمد لله، ثم بلغ سماعاً عليَّ نفعه الله... مؤلفه، لطف الله به » . وجاءت عبارة المجلس الأخير بخط مغاير : « بلغ بحمد الله وإعانته في شهر شعبان... » .

وقال الناسخ آخر الكتاب : « وكتبه لنفسه العبدالفقير إلى الله تعالى، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربِّه الكريم جرامرد الناصري الحنفي، من الأشرفية[١]، غفر الله تعالى له، ولمن دعا له بالمغفرة، ولجميع المسلمين، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

---

(١) وهي طائفة من طوائف المماليك. نسبة إلى الملك الأشرف قايتباي (٨١٥-٩٠١هـ) .
انظر : العصر المماليكي ١٣٤ .

وقد كتب الحافظ السيوطيُّ الإجازة للناسخ في الصفحة نفسها، وفيها: «الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد. فقد سمع عليَّ جميع هذا الكتاب تأليفي صاحبه وكاتبه الفاضل المتقن المشتغل المحصِّل الضابط، نادرة أبناء جنسه جرامرد الناصري المقرئ، نفعه الله ونفع به وزاده فضلاً وعلماً، على ما آتى، وقد أَجَزْتُ أن يَرْويه عني وجميعَ مرويَّاتي ومؤلَّفاتي. وكتب عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، في ذي القعدة، سنة ثلاث وثمانين وثمانمئة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

وبذلك يتبيَّن لنا أن هذه النسخة قُرئت على المؤلف، وهي كاملة. وقد ضُبط مُشكِلُها غالباً، بيد أنها لم تَسْلَمْ من السهو والوهم، وقد أفَدْنا من النسخ المخطوطة الأخرى والمراجع العلمية التي استقى منها السيوطي، لتقويمها وتصويبها وضبطها. ومن ذلك: أنه نقص من هذه النسخة سطر واحد ص (٣٦١)، كما سقطت منها كلمات متفرقة محدودة. وسقطت اللوحة الرابعة من هذه النسخة، وأغلب الظن أن ذلك من التصوير وليس من الناسخ، وقد أفدنا من النسخ الأخرى لتحقيق هذه اللوحة.

ووقع خطأ في نص بعض الآيات القرآنية، كما أصاب التصحيف والتحريف كلمات محدودة، وأصاب الطمس مقدار سطرين ص (٢٩٨) وبعض الأماكن الأخرى. وأمكن استدراك ذلك من مجموع النسخ الأخرى التي كانت بين أيدينا.

وعلى حواشي نسخة الأصل (أ) زيادات أثبتها الناسخُ بخطه عند

مقابلتها بأصل آخر لنص الكتاب، أو لدى قراءتها على المؤلف، وقد أشار إلى مكانها في المتن نفسه، وكتب عبارة (صح) بعد الزيادة. وهذه الزيادات من أصل الكتاب، ولم نر فائدة من التنبيه على ذلك في الحواشي.

وثمة زيادات أخرى ليست بخط الناسخ، ولعلها من مالك النسخة أو من مراجعٍ آخر لها، وقد حافَظنا عليها بإثباتها في الحواشي، وَفْقَ مكانِ ورودها، وهي من قبيل تفسير لفظ غريب، أو إضافة نصوص مقتبسة من كتب المؤلف غير « الإتقان »، أو إضافة عنوان فرعي، أو فائدة مقتبسة من كتاب تفسير[١].

وممَّا تمتاز به نسخة (أ): أن ناسخها إذا وَجَد في الأصل الذي ينقل منه، فراغاً أو بياضاً لم يكمله المؤلف، ترك في ذلك الموضع فراغاً بقَدْرِ ما هو في الأصل.

وقد عَدَدْنا هذه النسخة النفيسة أمًّا، فأثبتناها في المتن، وأشَرْنا إلى بداية رقم كل صفحة من المخطوط؛ وذلك على الجانب الأيمن من صفحات تحقيقنا للنص؛ ليسهلَ على المُراجِع تحديد ما يودُّ مراجعته من النسخة.

وبلغت صفحاتها (٤٧٢) صفحة، وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٩) سطراً، وفي كل سطر (٢٠) كلمة تقريباً. ومقاسها: ٢٧ × ١٨سم، وقد كُتبت بخط نسخي.

* * *

(١) انظر مثلاً: ص ٣٩٨.

٢ – نسخة المحمودية (م):

تحتفظ بهذه النسخة المكتبة المحمودية، وهي من المكتبات الوقفية التي تتبع مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة. ورقمها (٨٦)، وناسخها محمد بن علي الديمي الأزهري، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ٨٩٢هـ، فهي مكتوبة في حياة الإمام السيوطيّ، وعدد أوراقها (٢٦٠) ورقة، وعدد الأسطر (٢٩) سطراً، ومقاسها: ٢٦ × ١٧سم.

وهذه النسخة كاملة. بدأت بفهرس لأنواع علوم القرآن في الكتاب، وليس عليها أيَّة حواشٍ أو توثيقات أو سماعات، سوى ألفاظٍ يسيرة، من قبيل شرح بعض ألفاظ النص، أو عَزْوٍ للألفاظ الواردة في مسائل نافع بن الأزرق إلى سورها من القرآن الكريم.

وقد تبيَّن لنا في أثناء مقابلتها بالأصل أن التصحيف والتحريف والسقط أشياء نادرة فيها، ومن هنا عَدَدْنا هذه النسخة من النسخ العالية القيمة، وقد استأنسنا بها في تصحيح بعض المواضع التي تحتاج إلى تقويم من نسخة الأصل.

* * *

٣ – نسخة السليمانية (س):

تحتفظ بهذه النسخة مكتبة داماد إبراهيم باشا، الملحقة بالمكتبة السليمانية في إستانبول بتركيا، وهي برقم (١٤) وناسخها محمد بن أحمد بن علي السَّفْطُرَشِينيّ، ويعود تاريخ نسخها إلى الرابع عشر من شهر المحرم سنة ٨٨٣هـ، فهي مكتوبة في حياة المؤلف. وعدد أوراقها (٣٣٠)

ورقة. وقد حرص الناسخ على ضبط مشكل النص من الألفاظ أو الأعلام، وإذا لم تتضح الكلمة أعاد كتابتها إزاءها، وقد يقتصر على إعادة كتابة الحرف المشكل ويُلْحق به ضبطه. وكان يستخدم رمزاً للتقديم والتأخير(م) في بعض الأسطر.

وقد بلغ عدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٢٣) سطراً، وبلغ عدد الكلمات في السطر الواحد ما بين (١٣-١٨) كلمة.

ويبدو أن الناسخ نقل هذه النسخة من نسخة المصنف، أو من نسخة منقولة عن نسخة المصنف. وفي النسخة سماع يتكرر، ولعله بخط السيوطي، ويتوافق في موضعه مع نسخة (أ) غالباً. ومن ذلك ص (١٣٨): «الحمد لله ثم بلغ سماعاً على نسخة مؤلفه، ختم الله له بخير» وفي ص (٢٤٤): «الحمد لله ثم بلغ، نفع الله به سماعاً على نسخة مؤلفه ختم الله له بخير». ومع ذلك فإن هذه النسخة وقع فيها تصحيف وتحريف وسقط وتقديم وتأخير، وقد تأكد لنا ذلك لدى معارضتها بالنسخة الأمِّ والنسخ الأخرى. وقد استأنسنا بهذه النسخة في بعض المواضع المشكلة من نسخة (أ). ومن أمثلة التحريف الواقع في هذه النسخة:

- ص ١٣: فيها «من بني»، وفي النسخ: «مدني» وهو الصواب.
- ص ٢٨: فيها «عشيب»، وفي النسخ: «عسيب» وهو الصواب.
- ص ٣٧: فيها «ويريد»، وفي النسخ: «ويؤيد» وهو الصواب.
- ص ٤٠: فيها: «وأخبرونا» وفي النسخ: «أخرونا» وهو الصواب.

وسقط بعض أوراق النسخة، مثل الأوراق: ٣٣١-٣٣٤.

* * *

٤-نسخة مكتبة عارف حكمت (ع):

تحتفظ مكتبة عارف حكمت الحسيني الملحقة بمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة بهذه النسخة برقم (٩٤)، وناسخها عبدالواحد القدسي، وتاريخ نسخها سنة ٩٨٣هـ، ونوع الخط نسخي، وعدد أوراقها (٢٨٤) ورقة، وعدد الأسطر في كل ورقة ٢٧ سطراً، وعدد الكلمات في السطر الواحد يتراوح بين ١٤-١٧ كلمة.

وخط النسخة واضح وعليها تعليقات نادرة في الحواشي. وغالب هذه التعليقات عبارة عن إثبات فروق بين النسخة وغيرها في بعض الكلمات، وقد تكون تصحيحاً لإحدى الكلمات.

وفي النسخة ضبط نادر لبعض المشكل من النص. ويبدو أن الناسخ ليس برجل علم؛ إذ يكثر فيها التصحيف والتحريف والسقط، فكان هذا الناسخ يجتهد في قراءة كثير من الكلمات اجتهاداً خاطئاً. وقد لاحظنا في أثناء مقابلة المخطوطات تشابهاً كبيراً بين هذه النسخة ونسخة مكتبة برنستون التي سيأتي التعريف بها.

* * *

٥-نسخة الحرم المكي (ح):

تحتفظ مكتبة الحرم المكي بهذه النسخة، وليس عليها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، وعدد أوراقها (٢٧٨) ورقة وهي برقم (٤٤٧). وهي من النسخ القيمة، ويبدو أن ناسخها رجل علم وقد نقلها من نسخة صحيحة؛

وذلك لأن التصحيف والتحريف والسقط أشياء نادرة فيها، وقد استأنسنا بهذه النسخة في تصويب بعض الكلمات وقراءتها في نسخة (أ)

* * *

٦-نسخة برنستون (ب) :

تحتفظ مكتبة جاريت يهودا في جامعة برنستون الأمريكية؛ بهذه النسخة، وهي برقم (١٢٣٢)، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ٨٧٨هـ، فهي مكتوبة في حياة المؤلف. وعدد أوراقها (٣٩٠) ورقة، وليس عليها أية توثيقات أو سماعات أو تصحيحات، وكُتِبت بخط نسخي.

ونظراً لقرب تاريخ نسخها من حياة المؤلف، كنا نظنُّ سلامتها من التصحيف والتحريف والسقط، ولكن تبيَّن لنا غير ذلك في مرحلة المقابلة مع النسخ الأخرى. ومع هذا كنا نستأنس بها في بعض الأحيان.

* * *

٧-نسخة مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض (ر) :

تحتفظ بها مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، برقم (٢٧٥١). ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٠٢١هـ، وعدد أوراقها(٣٦٨) ورقة. وقد تبيَّن لنا في أثناء المقابلة تشابه كبير بينها وبين نسخة (م)، ولكن ناسخها لم يكن رجل علم؛ إذ يكثر فيها التصحيف والتحريف والسقط.

* * *

٨-نسخة وزارة الأوقاف الكويتية (ك):

تحتفظ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية بهذه النسخة، برقم: (خ ٤١١)، وهي نسخة كاملة في مجلد واحد رمزنا لها بالحرف (ك)، وهي في مجلد واحد، وناسخها عبدالعال بن السيد محمد. فرغ من نسخها يوم الثلاثاء في السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١١٧٧هـ. وعلى الرغم من تأخر تاريخ نسخها إلا أن الناسخ ذكر في الورقة الأخيرة أنه نقلها من نسخة قُوبلت على نسخة المؤلف.

بلغ عدد أوراقها (٢٨٤) ورقة، ومقاس الورقة ١٣٠ / ٢٢سم، وعدد الأسطر (٣٣) سطراً، وقد كُتبت بالخط النسخي. وليس على النسخة أية توثيقات أو سماعات ما خلا بعض التصويبات التي كان الناسخ يُثبتها في الحواشي، كما أن ضبط المشكل نادر، ولا تخلو النسخة من التصحيف والتحريف والسقط، وقد ميَّز الناسخ جُلَّ العناوين بخط خشن، وإذا وَجَدَ بياضاً في الأصل الذي ينقل عنه ترك فراغاً بمقداره، وكتب في الحاشية: «بياض بالأصل» وقد لاحظنا من خلال مقابلة نسخة (أ) في بعض المواضع بهذه النسخة أن الزيادات التي انفردت بها نسخة الأصل (أ) أغلبُها وارد في هذه النسخة (ك)؛ ممَّا يقوي صلتها بالأصل.

وقد وصلَتْنا هذه النسخة متأخرة بعد فراغنا من مقابلة النسخ، وتحقيق النص وتخريجه، فلم نتمكن من إجراء مقابلة دقيقة بينها وبين النسخ الأخرى، بيد أننا كنا نعود إليها فيما أشكل علينا من النص المحقق، وقد أثبتنا بعض النصوص منها في المواضع المشكلة.

* * *

٩-نسخة مكتبة الحرم المكي (الثانية):

وهي برقم (٤٤٨)، وعدد أوراقها (٤٢٣) ورقة. ونظراً لكثرة الخروم فيها، وفُشُوِّ الرطوبة والمَسْح في صفحاتها، لم نتمكن من الإفادة منها.

* * *

١٠-نسخة مكتبة عارف حكمت (الثانية):

وهي برقم (٩٥)، وناسخها يونس جاري، وعدد أوراقها (٥٧٠) ورقة وتاريخ نَسْخها سنة ١٢٦٩هـ. ونظراً لتأخُّر تاريخ نسخها، وكون ناسخها غير معروف بالعلم، وجهالة أصلها الذي نُقِلت منه، رجَّحْنا إهمالها.

* * *

١١-نسخة مكتبة الأزهر الشريف (ز):

ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ٩٨٠هـ، وعدد أوراقها (٢٦٥) ورقة، ورقمها (٣٠٦ تفسير) من رواق الأتراك، ومنها صورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٢٩١٢)، وليس عليها تعليقات، وقد أصابها خروم في مواضع كثيرة. وقد تبيَّن لنا لدى مقابلة (١٧) ورقة منها بالأصول الخطية أن ناسخها جاهل، إذ تفشو فيها الأخطاء العلمية والسقط والتصحيف والتحريف؛ لذا رجَّحْنا إهمالها.

* * *

وتتمتع مطبوعة الأستاذ أبي الفضل إبراهيم -رحمه الله- من كتاب «الإتقان» بشهرة كبيرة في أوساط الباحثين وطلبة العلم. وقد اعتمدَتْ

على نسخة الآصفية التي هي الأمُّ عندنا. وقد كانت هذه المطبوعة أمامنا لدى إجراء عملية المقابلة بين النسخ، وتبيَّن لنا بعد معارضتها بالأصول الخطية الصحيحة أنَّ ثمة أخطاء كثيرة فيها، وتصرُّفاً في كثير من العبارات التي لم تَرِدْ في مخطوطات «الإتقان». ومن هنا فإن إقامة النص وَفْقَ عملية التحقيق العلمي المنشودة من خلال هذه المطبوعة فيها نظر، كما أن خدمة النص بالحواشي العلمية الكاشفة محدودة جداً. وقد أثبْتنا في حواشي تحقيقنا للنص طرفاً من التصحيف والتحريف والسقط الوارد في هذه المطبوعة كما أشرنا إلى بداية كل صفحة من صفحات هذه المطبوعة. وذلك على الجانب الأيسر من صفحات تحقيقنا للنص.

وبعد...

فهذا هو «**الإتقان في علوم القرآن**»، في هذه الطبعة العلمية، الموثقة، المحققة، ونحمد الله عزَّ وجلَّ، ونثني عليه بآلائه، على أن هَيَّأ لنا الأسباب التي يسَّرت لنا متابعة العمل في خدمة الكتاب، وتقديمه إلى المكتبة القرآنية العامرة. ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن خدم الذكر الحكيم. والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نماذج خطيّة مصوّرة

من نسخ كتاب

«الإتقان في علوم القرآن»



بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
يقول سيدنا وشيخنا الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر الفهامة الرحلة جلال الدين أبو الفضل سيدنا الإمام ...
الإمام ... جلال الدين السيوطي الشافعي فسح الله في مدته: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب، وجعله أجل
الكتب قدرا وأغزرها علما وأعذبها نظما وأبلغها في الخطاب، قرآنا عربيا غير ذي عوج ولا
شبهة فيه ولا ارتياب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، الذي
عنت لقيوميته الوجوه، وخضعت لعظمته الرقاب، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
من أكرم الشعوب وأشرف الشعاب إلى خير أمة بأفضل كتاب صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه
الأنجاب صلاة وسلاما دائمين إلى يوم المآب، وبعد: فإن العلم بحر زخار لا يدرك له من
قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قنته ولا يصار، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك
وصولا، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا، كيف وقد قال تعالى مخاطبا لخلقه
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها
أودع فيه سبحانه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد
فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع
إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة
في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر
به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة
لفظ وبلاغة أسلوب، تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب.
ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا
ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين وإنسان عين الناظرين خلاصة الوجود
علامة الزمان فخر العصر وعين الأوان أبا عبد الله محيي الدين الكافيجي مد الله في أجله وأسبغ عليه ظله
يقول: قد دونت في علوم التفسير كتابا لم أسبق إليه، فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جدا، وحاصل
ما فيه بابان: الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية، والثاني في شروط
القول فيه بالرأي، وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم، فلم يشف لي ذلك غليلا، ولم يهدني إلى المقصود
سبيلا، ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المذهب المطلبي علم
الدين البلقيني رحمه الله تعالى على كتاب في ذلك لأخيه قاضي القضاة جلال الدين سماه: مواقع العلوم
من مواقع النجوم، فرأيته تأليفا لطيفا، ومجموعا ظريفا، ذا ترتيب وتقرير، وتنويع وتحبير، قال
في خطبته: قد اشتهرت عن الإمام الشافعي رضي الله عنه مخاطبة لبعض خلفاء بني العباس فيها ذكر بعض
أنواع القرآن يحصل منها لمقصدنا الاقتباس، وقد صنف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث

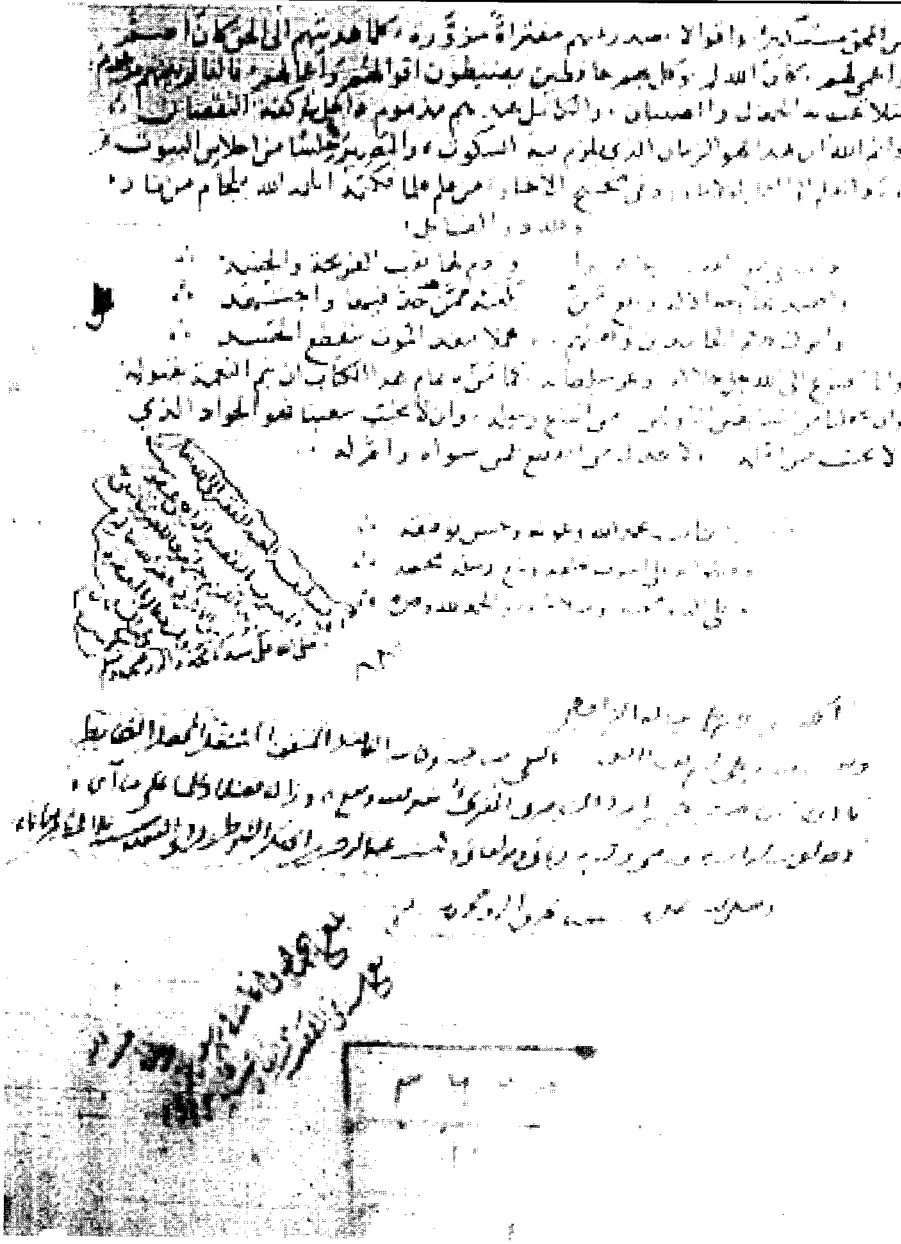
صورة الصفحة الثانية من نسخة (أ)



الا ارد دون الثاني واحتج له بادلة الاستثنا لا احل قول ابن الحصار السابق ولا اذكر الادلة
لطولها اختصارا واحالة على كتابنا اسباب النزول . تقدم قول ان نصفها نزل بالمدينة
والظاهر انه النصف الثاني ولا دليل لهذا القول . استثنى منها ايتان فاعفوا واصفحوا
ليس عليك هداهم . الانعام قال ابن الحصار استثنى منها تسع ايات ولا يصح به نقل خصوصا
[illegible] ورد انها نزلت [illegible] . صح النقل عن ابن عباس باستثناء قل تعالوا الايات الثلاث كما
تقدم والبواقي وما قدروا الله حق قدره لما اخرجه ابن ابي حاتم انها نزلت في مالك بن الصيف
وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الايتين نزلتا في مسيلمة وقوله الذين اتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق واخرج ابو الشيخ عن الكلبي قال نزلت الانعام كلها بمكة الا ايتين
نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود وهو الذي قال ما انزل الله على بشر من شيء وقال الفريابي [illegible]
[illegible] عن بشر قال الانعام مكية الا قل تعالوا اتل والاية التي بعدها . اخرج
ابو الشيخ بن حيان عن قتادة قال الاعراف مكية الا اية واسئلهم عن القرية وقال غيره من هنا
الى واذ اخذ ربك مدني . استثني منها واذ يمكر بك الذين كفروا الاية قال مقاتل نزلت
بمكة . يرده ما صح عن ابن عباس ان هذه الاية بعينها نزلت بالمدينة كما اخرجناه في
اسباب النزول واستثنى بعضهم قوله يا ايها النبي حسبك الله الاية وصححه ابن العربي وغيره
يرده ما اخرجه البزار عن ابن عباس انها نزلت لما اسلم عمر . قال ابن الفرس مدنية الا
ايتين لقد جاءكم رسول الى اخرها . غريب كيف وقد ورد انها اخر ما نزل واستثنى بعضهم
ما كان للنبي الاية لما ورد انها نزلت في قوله صلى الله عليه [illegible] لا استغفرن لك ما لم انه عنك
[illegible] استثني منها [illegible] الاتين وقوله ومنهم من يؤمن به الاية قيل نزلت في اليهود
[illegible] من اولها الى راس اربعين مكي والباقي مدني حكاه ابن الفرس والسخاوي في جمال القرا
استثني منها ثلاث ايات فلعلك تارك الذي كان على بينة من ربه اقم الصلاة طرفي النهار
وليل انا [illegible] ما صح من عدة طرق انها نزلت بالمدينة في حق ابي اليسر . استثني ثلاث
ايات من اولها حكاه ابو حيان وهو واه جدا لا يلتفت اليه . اخرج ابو الشيخ عن قتادة قال
سورة الرعد مدنية الا اية قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وعلى القول بانها مكية
يستثنى قوله الله يعلم الى قوله شديد المحال كما تقدم والاية اخرها لما اخرج ابن مردويه عن
جندب قال جاء عبد الله بن سلام حتى اخذ بعضادتي باب المسجد قال انشدكم بالله اي قوم اتعلمون
اني الذي انزلت فيه ومن عنده علم الكتاب قالوا اللهم نعم . اخرج ابو الشيخ عن قتادة قال
سورة ابراهيم مكية غير ايتين الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى فبئس القرار
استثني بعضهم منها ولقد اتيناك سبعا من المثاني الاية . وينبغي استثناء قوله ولقد علمنا
المستقدمين الاية لما اخرجه الترمذي وغيره في سبب نزولها وانها في صفوف الصلاة

صورة الصفحة الحادية عشرة من نسخة (أ)

وعليها خط المؤلف رحمه الله



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (أ)

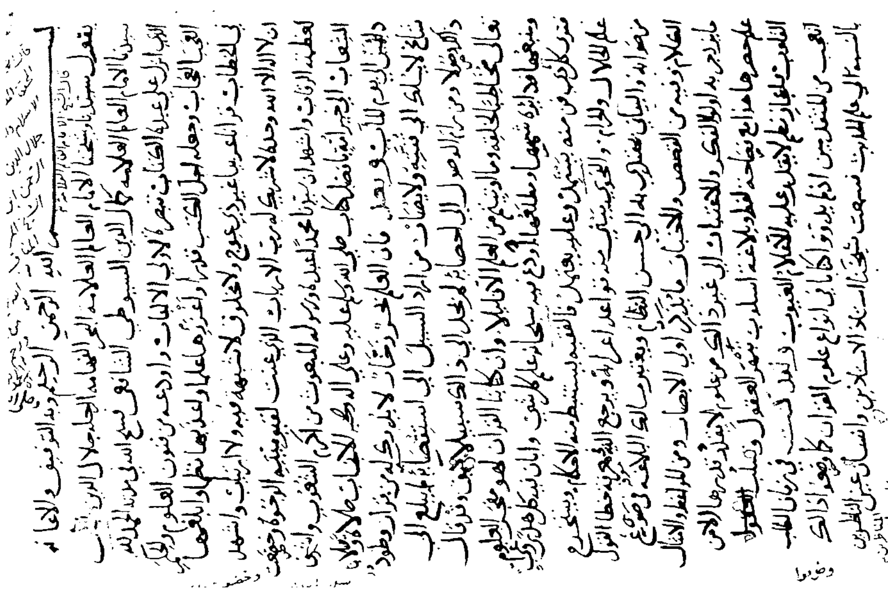
وفيها إجازة برواية الكتاب، بخط السيوطي رحمه الله

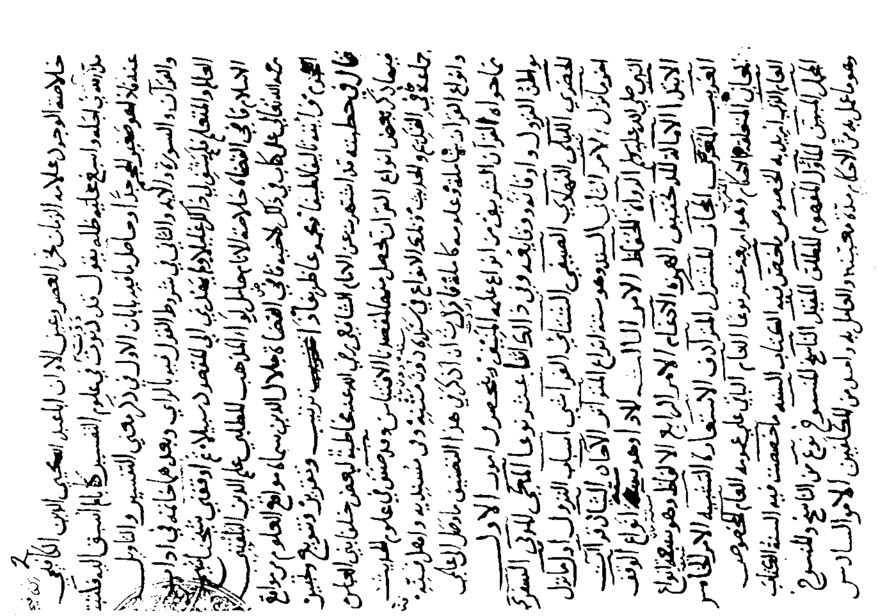
بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم،
قال الشيخ الامام حامل لوا الشريعة عالم اهل الارض المجدد لهذه الامة امر الدين المبعوث في المايه التاسعه
مجتهد الامة جلال الدين السيوطي اطال الله بقاه ونفعنا بعلومه: الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب، تبصرة
لاولي الالباب، واودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب، وجعله اجل الكتب قدرا واغزرها علما واعذبها
نظما وابلغها في الخطاب، قرانا عربيا غير ذي عوج، ولا مخلوق لا شبهة فيه ولا ارتياب، واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له رب الارباب، الذي عنت لقيوميته الوجوه، وخضعت لعظمته الرقاب، واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من اكرم الشعوب واشرف الشعاب، الى خير امة بافضل كتاب صلى الله وسلم
عليه وعلى اله وصحبه الانجاب، صلاة وسلاما دايمين الى يوم المآب، وبعد فان العلم بحر زخار لا يدرك له
قرار، وطود شامخ لا يسلك الى قنته ولا يصار، من اراد السبيل الى استقصايه لم يبلغ الى ذلك وصولا، ومن رام
الوصول الى احصايه لم يجد الى ذلك سبيلا، كيف وقد قال تعالى مخاطبا لخلقه وما اوتيتم من العلم الا قليلا، وان كتابنا
القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودايرة شمسها ومطلعها، اودع فيه سبحانه علم كل شي، وابان فيه كل هدي وغي،
فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الاحكام، ويستخرج علم الحلال والحرام، والنحوي
يبني منه قواعد اعرابه، ويرجع اليه في معرفة خطا القول من صوابه، والبياني يهتدي به الى حسن النظام، ويعتبر
مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والاخبار ما يذكر اولي الابصار، ومن المواعظ والامثال ما يزدجر
به اولوا الفكر والاعتبار، الى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها الا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ
وبلاغة اسلوب، تبهر العقول وتسلب القلوب، واعجاز نظم لا يقدر عليه الا علام الغيوب، ولقد كنت
في زمان الطلب اتعجب من المتقدمين اذ لم يدونوا كتابا في انواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة الى علم الحديث
فسمعت شيخنا استاذ الاستاذين، وانسان عين الناظرين، خلاصة الوجود، وعلامة الزمان، فخر العصر، وعين الاوان
ابا عبد الله محيي الدين الكافيجي، مد الله في اجله، واسبغ عليه ظله، يقول: قد دونت في علوم التفسير كتابا لم اسبق [illegible]
اليه، فكتبته عنه فاذا هو صغير الحجم جدا، وحاصل ما فيه بابان، الاول في ذكر معنى التفسير والتاويل
والقرآن والسورة والاية، والثاني في شروط القول فيه بالراي، وبعدهما خاتمة في اداب العالم والمتعلم، فلم
يشف لي ذلك غليلا، ولم يهدني الى المقصود سبيلا، ثم اوقفني شيخنا شيخ الاسلام قاضي القضا، خلاصة الانام [illegible]
حامل لوا المذهب المطلبي علم الدين البلقيني رحمه الله تعالى على كتاب في ذلك لاخيه قاضي القضاة جلال الدين سماه
مواقع العلوم من مواقع النجوم، فرايته تاليفا لطيفا، ومجموعا ظريفا، ذا ترتيب وتقرير، وتنويع وتحبير، قال في
خطبته: قد اشتهرت عن الامام الشافعي رضي الله عنه مخاطبة لبعض خلفا بني العباس، فيها ذكر بعض انواع القرآن،
يحصل منها لمقصدنا الاقتباس، وقد صنف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث، وتلك الانواع في سنده
دون متنه، او في مسنديه واهل فنه، وانواع القرآن شاملة، وعلومه كاملة، فاردت ان اذكر في هذا التصنيف
ما وصل الى علمي مما حواه القرآن الشريف، من انواع علمه المنيف، وينحصر في امور، الاول مواطن النزول واوقاته

صورة الصفحة الأولى من نسخة (م)

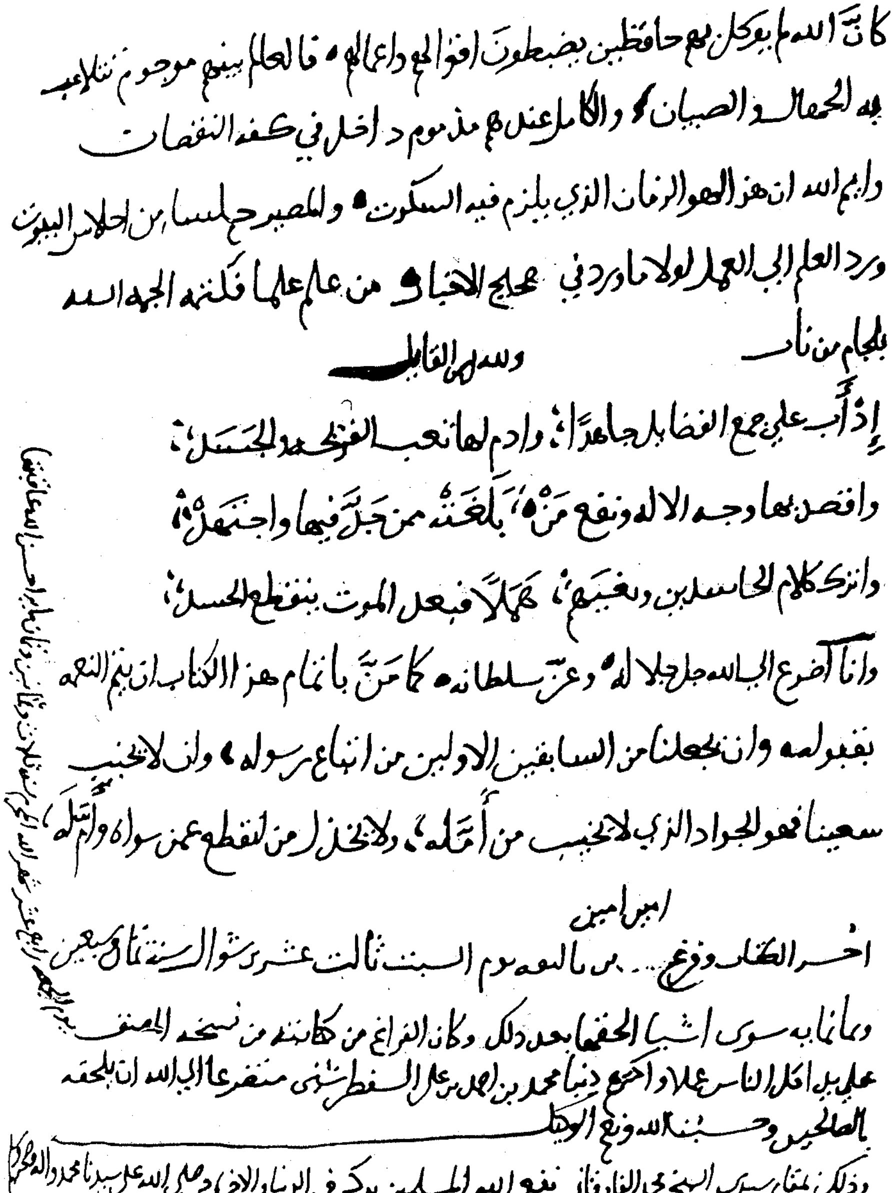

وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها، ونقرت
عن معادن كنوزه فخلصت سبائكها وسبكت نقرها، فلهذا تحصل فيه من
البدائع ما تثنت عنده الأعناق تثنيا، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في
مؤلفات شتى على أني لا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب، ولا أدعي أنه
جمع سلامة كيف والبشر محل النقص بلا ريب، هذا وإني في زمان ملأ الله
قلوب أهليه من الحسد، وغلب عليهم اللوم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد،
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود، لولا اشتعال
النار فيما جاورت، ما كان يعرف طيب عرف العود، قوم غلب عليهم الجهل
وطمهم، وأعماهم حب الرياسة وأصمهم، قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه،
وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه، يريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى
الله إلا أن يزيده تأخيرا، ويبغي العزة ولا علم عنده، فلا يجد له وليا ولا نصيرا،
أتمشى القوافي تحت غير لوائنا، ونحن على قوالها أمراؤه، ومع ذلك فلا ترى إلا أنوفا
مشمّرة، وقلوبا عن الحق مستكبرة، وأقوالا تصدر عنهم مفتراة مزورة، كلما
هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم، كأن الله لم يوكل بهم حافظين يضبطون
أقوالهم وأعمالهم، فالعالم بينهم موجوم تتلاعب به الجهال والصبيان،
والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان، وايم الله إن هذا لهو الزمان
الذي يلزم فيه السكوت، والمصير حلسا من أحلاس البيوت، ورد العلم إلى
العمل لولا ما ورد في صحيح الأخبار، من علم علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار، ولله
در القائل: إذأب على جمع الفضائل جاهدا، وأدم لها تعب القريحة والجسد،
واقصد بها وجه الإله ونفع من، بلغته ممن جد فيها واجتهد،
واترك كلام الحاسدين وبغيهم، هملا فبعد الموت ينقطع الحسد،
وأنا أضرع إلى الله جل جلاله، وعز سلطانه، كما من بإتمام هذا الكتاب، أن يتم
النعمة بقبوله، وأن يجعلنا من السابقين الأولين من أتباع رسوله، وأن لا
يخيب سعينا، فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله، ولا يخذل من انقطع عمن
سواه وأم له، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،
نجز الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في شهر
جمادى الآخرة سنة ٨٩٢ على يد العبد
الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي الديمي
الأزهري غفر الله له وللمسلمين

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (م)





صورة الورقة الثانية من نسخة (س)



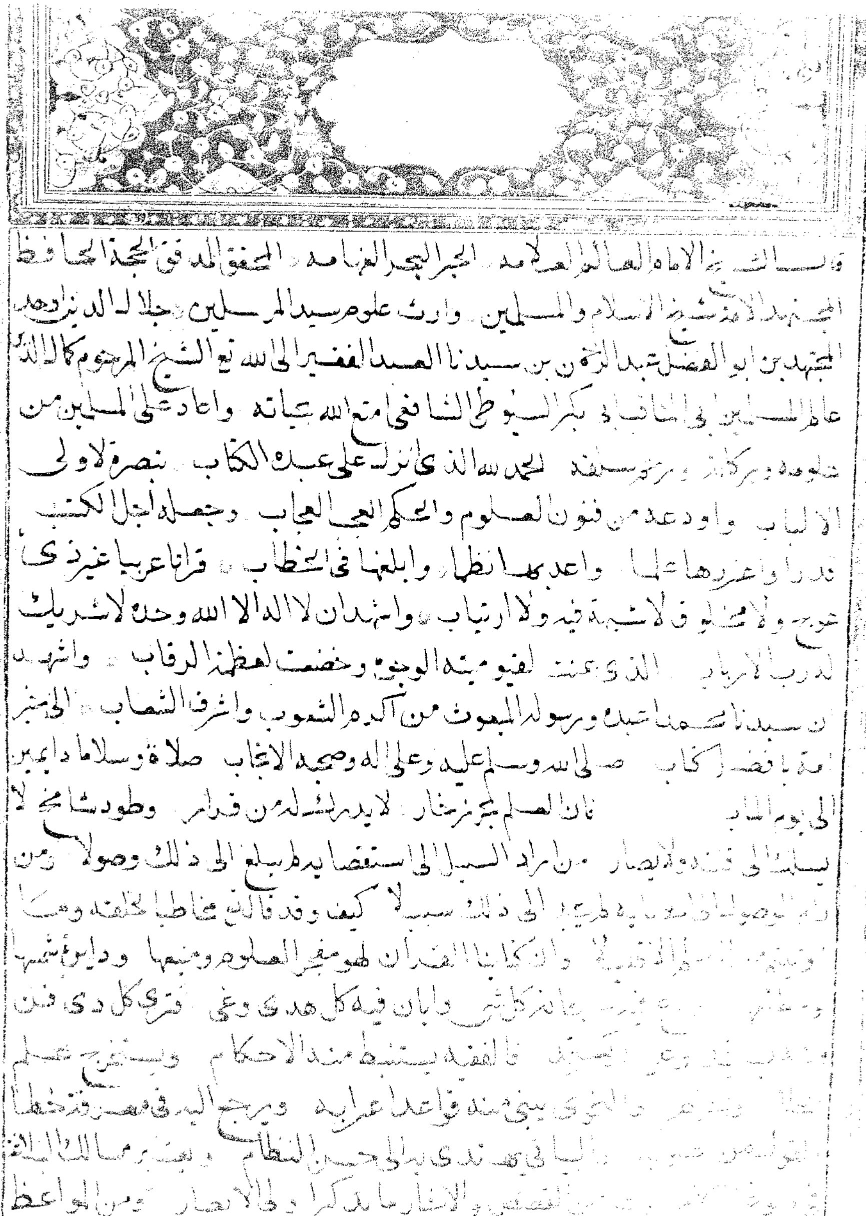
كأن الله لم يوكل بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأفعالهم، فالعلم بينهم موجود يتلاعب
به الجهال والصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان
وايم الله ان هذا لهو الزمان الذي يلزم فيه السكوت، والمصير حلسا من أحلاس البيوت
ورد العلم الى العمل لولا ما ورد في صحيح الأخبار من علم علما فكتمه ألجمه الله
بلجام من نار
ولله در القائل

إذا أب على جمع الفضائل جاهداً، وادم لها تعب القريحة والجسد،
واقصد بها وجه الاله ونفع من، بلغته ممن جد فيها واجتهد،
واترك كلام الحاسدين وبغيهم، هملاً فبعد الموت ينقطع الحسد،

وانا أضرع الى الله جل جلاله وعز سلطانه كما منّ باتمام هذا الكتاب ان يتم النعمه
بقبوله وان يجعلنا من السابقين الأولين من أتباع رسوله، وان لا يخيب
سعينا فهو الجواد الذي لا يخيب من أمّله، ولا يخذل من انقطع عمن سواه وأمّله

آمين آمين
آخر الكتاب وفرغ … يوم السبت ثالث عشر شوال سنة ثمان وسبعين
وتمام به سوى أشيا الحقها بعد ذلك وكان الفراغ من كتابته من نسخة المصنف
على يد أقل الناس علما وأكثرهم ذنبا محمد بن احمد بن علي السفطي متضرعا الى الله ان يلحقه
بالصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل
وذلك بمقام سيدي الشيخ محمد القادري نفع الله المسلمين بركته في الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (س)

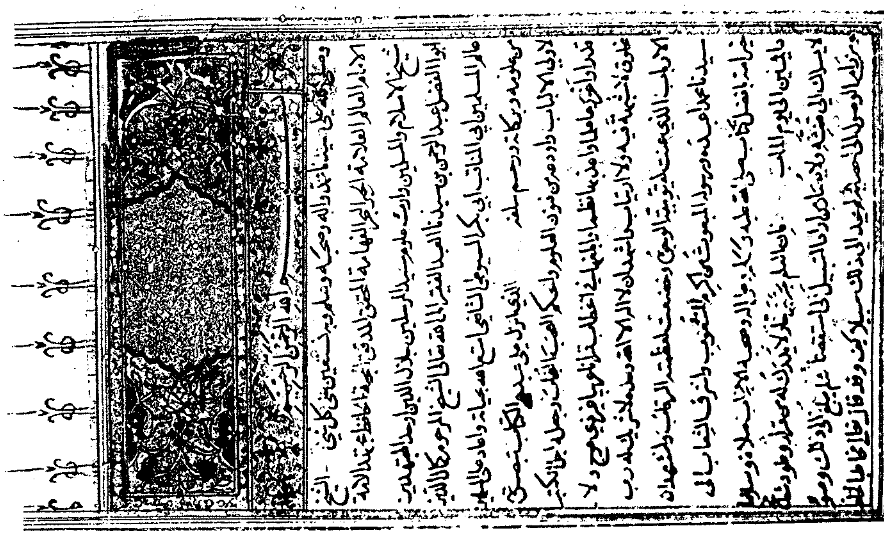


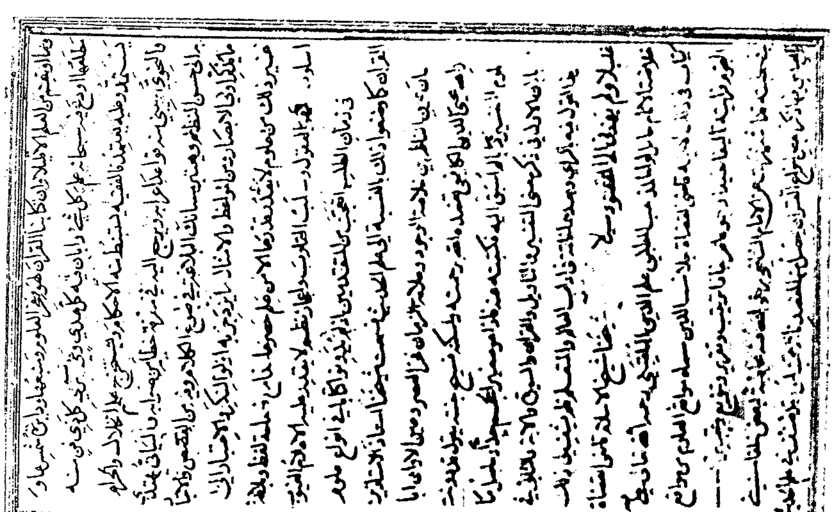
قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة المحقق المدقق الحجة الحافظ
المجتهد الأمة شيخ الإسلام والمسلمين وارث علوم سيد المرسلين جلال الدين أوحد
المجتهدين أبو الفضل عبد الرحمن بن سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ المرحوم كمال الدين
عالم المسلمين أبي المناقب أبي بكر السيوطي الشافعي متع الله بحياته وأعاد على المسلمين من
علومه وبركاته ... الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي
الألباب وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب وجعله أجل الكتب
قدرا وأغزرها علما وأعذبها نظاما وأبلغها في الخطاب قرآنا عربيا غير ذي
عوج ولا مخلوق لا شبهة فيه ولا ارتياب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له رب الأرباب الذي عنت لقيوميته الوجوه وخضعت لعظمته الرقاب وأشهد
أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشعاب إلى خير
أمة بأفضل كتاب صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب صلاة وسلاما دائمين
إلى يوم المآب وبعد فإن العلم بحر زخار لا يدرك له من قرار وطود شامخ لا
يسلك إلى قنته ولا يصار من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا ومن
رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا كيف وقد قال تعالى مخاطبا لخلقه وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها
ومطلعها ... فترى كل ذي فن
منه يستمد وعليه يعتمد فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم
الحلال والحرام والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ
القول من صوابه والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة
في صوغ الكلام ... من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ومن المواعظ

صورة الصفحة الأولى من نسخة (ع)

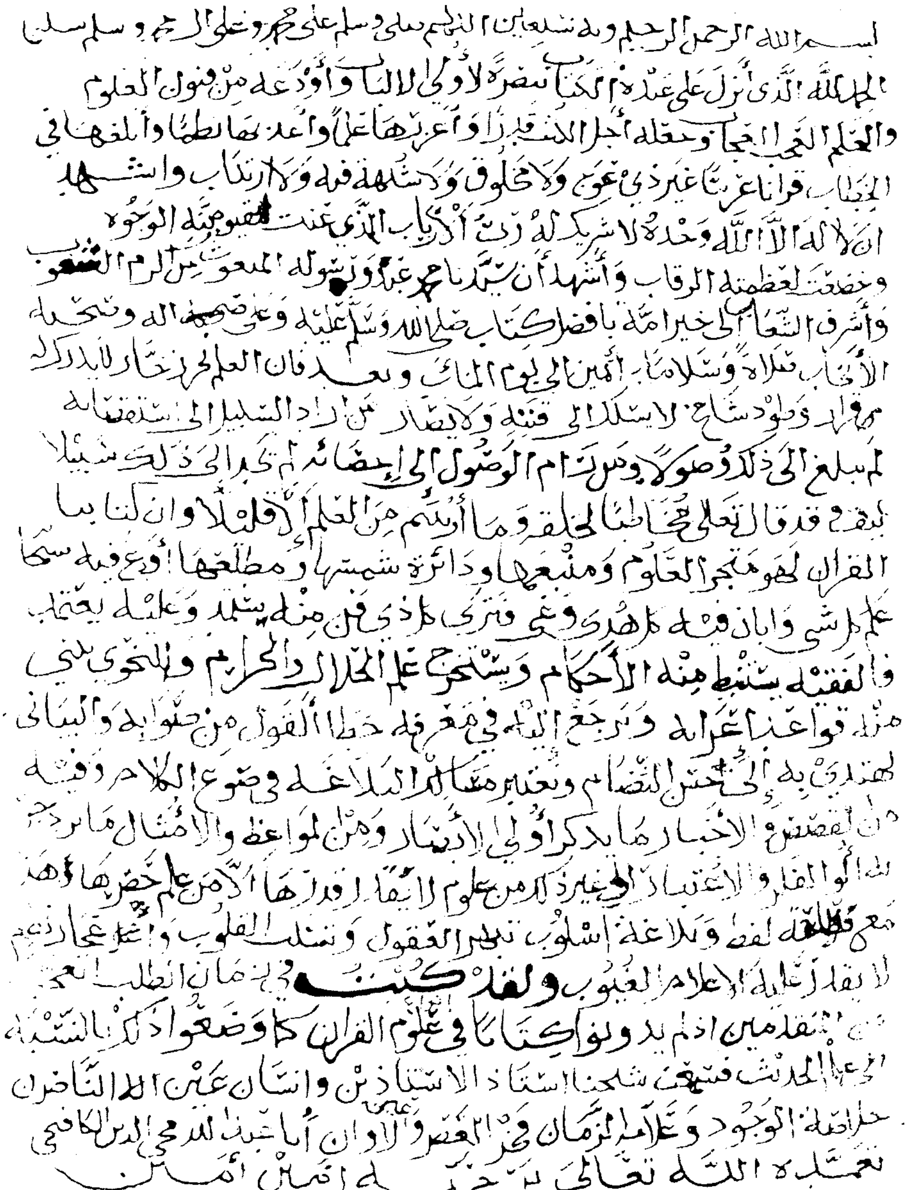

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم ... والسنة.
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي الألباب، وأودعه
من فنون العلوم والحكم العجب العجاب، وجعله أجل الكتب قدرا،
وأغزرها علما وأعذبها نظما وأبلغها في الخطاب، قرآنا عربيا غير ذي عوج ولا
مخلوق لا شبهة فيه ولا ارتياب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب
الذي عنت لقيوميته الوجوه وخضعت لعظمته الرقاب، وأشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشعاب إلى خير أمة بأفضل
كتاب، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب، صلاة وسلاما دائمين إلى
يوم المآب. وبعد: فإن العلم بحر زخار لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك
إلى قنته ولا يصار، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا، ومن رام
الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا، كيف وقد قال تعالى مخاطبا لخلقه: وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا. وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها
ومطلعها، أودع فيه سبحانه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه
يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام،
والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني
يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص
والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر
والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة
لفظ وبلاغة أسلوب، تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر
عليه إلا علام الغيوب. ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم
يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فسمعت
شيخنا أستاذ الأستاذين وإنسان عين الناظرين خلاصة الوجود علامة الزمان
فخر العصر وعين الأوان أبا عبد الله محيي الدين الكافيجي مد الله في أجله وأسبغ عليه
ظله يقول: قد دونت في علوم التفسير كتابا لم أسبق إليه، فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم
جدا، وحاصل ما فيه بابان: الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة
والآية، والثاني في شروط القول فيه بالرأي، وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم،
فلم يشف لي ذلك غليلا، ولم يهدني إلى المقصود سبيلا، ثم أوقفني شيخنا شيخ الإسلام

صورة الصفحة الثانية من نسخة (ح)



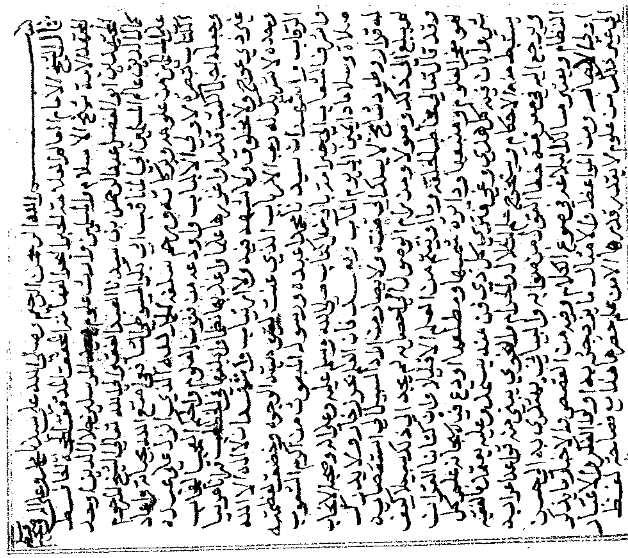


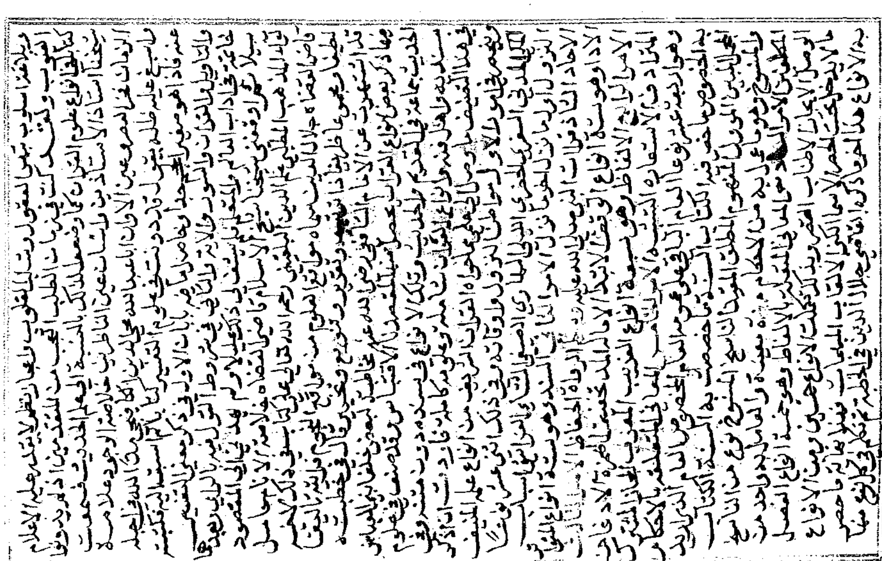
صورة الورقة الثانية من نسخة (ب)



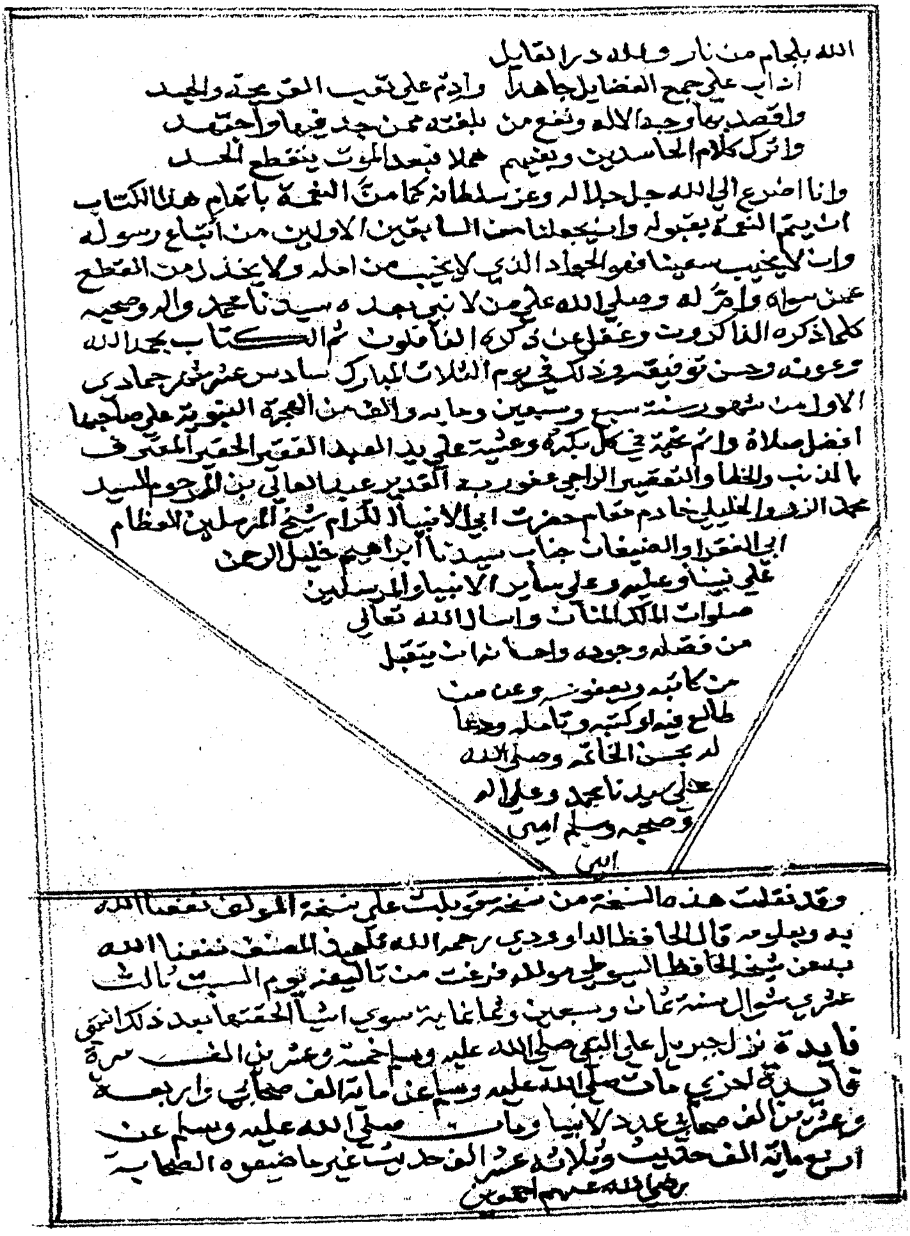
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي الألباب وأودعه من فنون العلوم
والحكم العجب العجاب وجعله أجل الكتب قدراً وأغزرها علماً وأعذبها نظماً وأبلغها في
الخطاب قرآناً عربياً غير ذي عوج ولا مخلوق لا شبهة فيه ولا ارتياب وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب الذي عنت لقيوميته الوجوه
وخضعت لعظمته الرقاب وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب
وأشرف الشعاب إلى خير أمة بأفضل كتاب صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب
صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب وبعد فإن العلم بحر زخار لا يدرك له
من قرار وطود شامخ لا يسلك إلى قنته ولا يصار من أراد السبيل إلى استقصائه
لم يبلغ إلى ذلك وصولاً ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً
كيف وقد قال تعالى مخاطباً للخلق وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً وإن كتابنا
القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه سبحانه
علم كل شيء وأبان فيه كل هدى وغي فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد
فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام والنحوي يبني
منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه والبياني
يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام وفيه
من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به
أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها هذا
مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم
لا يقدر عليه إلا علام الغيوب ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب
من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة
إلى علم الحديث فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين وإنسان عين الناظرين
خلاصة الوجود علامة الزمان فخر العصر وعين الأوان أبا عبد الله محيي الدين الكافيجي
تغمده الله تعالى برحمته آمين آمين

صورة الصفحة الثانية من نسخة (ر)





صورة الورقة الثانية من نسخة (ك)


الله بلجام من نار ولله در القائل
انداب على جمع الفضائل جاهداً وادم على تعب المعرّجة والجهد
ولقصد بها وجه الاله ونفع من بلغته ممن جد فيها واجتهد
واترك كلام الحاسدين وبغيهم هملاً فبعد الموت ينقطع الحسد
وانا اضرع الى الله جل جلاله وعز سلطانه كما منّ النعمة باتمام هذا الكتاب
ان يتم النعمة بقبوله وان يجعلنا من السابقين الاولين من اتباع رسوله
وان لا يخيب سعينا فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا يخذل من انقطع
عمن سواه والتجأ له وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه
كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون تم الكتاب بحمد الله
وعونه وحسن توفيقه وذلك في يوم الثلاث المبارك سادس عشر شهر جمادى
الاول من شهور سنة سبع وسبعين ومايه والف من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل صلاة واتم تحية في كل بكرة وعشية على يد العبد الفقير الحقير المعترف
بالذنب والخطا والتقصير الراجي عفو ربه القدير عبد الهادي بن المرحوم السيد
محمد الزرو الخليلي خادم مقام حضرت ابي الانبياء الكرام شيخ المرسلين العظام
ابي الفقراء والضيفان جناب سيدنا ابراهيم خليل الرحمن
على نبينا وعليه وعلى ساير الانبياء المرسلين
صلوات المتكاملات واسال الله تعالى
من فضله وجوده واحسانه ان يتقبل
من كاتبه ويعفو عنه وعن من
طالع فيه او كتبه وتامله ودعا
له بحسن الخاتمه وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم امين
امين
وقد نقلت هذه النسخة من نسخة قوبلت على نسخة المولف نفعنا الله
به وبعلومه قال الحافظ الداودي رحمه الله تلميذ المصنف نفعنا الله
بعلوم شيخنا الحافظ السيوطي مولده فرغت من تاليفه يوم السبت ثالث
عشري شوال سنة ثمان وسبعين وثمانمائة سوى اشيا الحقتها بعد ذلك انتهى
فايدة نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف مرة
فايدة اخرى مات صلى الله عليه وسلم عن مائة الف صحابي واربعة
وعشرين الف صحابي بعدد الانبيا ومات صلى الله عليه وسلم عن
اربع مائة الف حديث وثلاثة عشر الف حديث غير ما ضبطوه الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (ك)

فهرس موضوعات الجزء الأول